

محمد علي عطبوش





نقد الإعجاز العلمي

أزمة الدين والعلم

محمد علي عطبوش



2016

طبعة ثانية مزيدة

نقد الإعجاز العلمي - أزمة الدين والعلم

محمد علي عطبوش

الإخراج: ستوديو سيماء

الطبعة الأولى: فبراير 2016

ISBN: 978 - 99966 - 90 - 47 - 1

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - دولة الكويت

263/2016

مسارات للنشر والتوزيع
MASARAT PUBLISHING & DISTRIBUTION

هاتف/ واتس آب: 96566560700+

البريد الإلكتروني: dar.masarat@hotmail.com

تويتر: @darmasarat1

انستغرام: dar_massarat

إهداء

إلى ذكرى المفكر الكبير جورج طرابيشي
الذي غادرنا عازماً على كتابة:
(الإعجاز العلمي في القرآن: قراءة تفكيكية)
لعلنا بهذا العمل ننجز ولو جزءً يسيراً مما كان يطمح إليه.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

تقديم الدكتور جاسم سلطان

إن مشكلة الأديان الكبرى عموماً لم تأتها كما يبين القرآن والتاريخ من أعدائها، فقد طواهم الزمن، وحدث الانتشار برغم كل ظروف النشأة، ولكن تحريفها وتغيير كيميائها تم بفعل أتباعها وأحبارها، إما بسوء تأويل أو بالإضافة أو بالحذف من أصلها.. وقمة الأزمة أن تبلورت مناهج نظر قاصرة وأصبحت حكماً عليها.. وكلما طال الزمن وبعُدت الشُقة تفاقمت المشكلة حتى يصبح الدين غير الدين ويصبح كل ذلك عبئاً على الواقع وتصبح عملية تحرير الدين من كل ذلك الركام أمراً في غاية الصعوبة!

فعلى حراسة القديم المتراكم من المناهج والمرئيات، والجديد المستحدث من المقولات والتصورات المغلوطة؛ تقوم مؤسسات ويعتاش بشر ويتلذذ جمهور وتصبح مقاومة كل ذلك سباحةً ضد التيار وعمل محفوف بالمخاطر يعرض صاحبه إلى الاغتيال المعنوي والمادي.

وهذا الكتاب هو جزء من عمليات التحرير من الأوهام ومحاولة صياغة غد أفضل للأمة عبر إدخالها في منطق العلم بدل بيع الأوهام.. وتحرير المقدس مما يلحقه به المتحمسون من قضايا يحسبون أنها تضيف له وهي خصم من رصيده، إن لم يكن على المدى القصير فمن المؤكد أنها ستفعل على المدى المتوسط والطويل.

فمع انتشار العلم والمعرفة وسهولة الوصول إلى المعلومة، لم يعد بالإمكان إرسال الدعاوى كيفما كان، وكل كذبة أو شبه كذبة ينكشف عوارها وقد أُلحقت بالدين على وجه الجزم، أصبح خصماً حقيقياً من رصيد مصداقيته مما يقود الكثير من الشباب لتخوم الإلحاد وهو عين ما حدث في الأمم الأخرى. والإعجاز العلمي في القرآن والسنة حقل خصب اشتغل عليه أناس كُثر بحسن

نية، واعتراه الكثير من القصور الذي جعله بشكل متنامٍ طريقاً لعكس ما أُريد له، فالمشتغلون به أرادوا تثبيت الإيمان بالقول أن القرآن والسنة سبّاقان بالعلم بأمور العلم على المعامل والبحوث، واستعانوا بالبحوث ومنتجات المختبرات للتدليل على ما تأولوه من نصوص القرآن والسنة ليتطابق مع مقررات البحوث ونظريات العلم دون تمييز بين حقائق العلم ونظرياته.. متناسين أن حقائق العلم في حالة حركة مستمرة، وان النظريات هي تفسير غالب عند من وضعها وهي في طور التداول بعدُ..

والكتاب الذي بين أيدينا للأخ الكريم محمد عطبوش هو محاولة لافتكاك العلم من الوهم، ولعمري إنها مهم سامية نحتاجها في هذا العصر في أمة أبتليت ليس فقط من قبل أعدائها ولكن من أوهام أبنائها ولا زالت سهلة الانسياق لموطن الخرافة والوهم وسهلة الوقوع في حبائل المشعوذين والكهّان ما استغلوا عاطفتها الدينية.

وافتتاحيات العصر الجديد للأمة تبدأ باستنقاذ عقلها، وأحسب أن هذا الكتاب يصب في هذا المسار الكبير.. وهو المسار الأهم.

تعرض مؤلف هذا الكتاب بعد نشره إلى محاولة إغتيال أمام منزله في مدينة عدن، بمسدس كاتم للصوت، في 29 ديسمبر 2016، ترك على إثرها البلاد.
- وكالة الأنباء الأمريكية: أسوشيتد برس

(من ألّف فقد استهدف)

ابن المقفع

مقدمة

انطلاقاً من اهتمامي بالعلاقة بين الدين والعلم ومدى التوافق أو التعارض الذي بينهما، ثم من واقع دراستي الابتدائية والثانوية وملاحظة الكم الهائل من الخلط بين الدين والعلم، في المنهج الدراسي أو عند المعلمين على حدٍ سواء؛ بدأت فكرة كتابة عدة مقالات نقدية فيما يسمى بالإعجاز العلمي، المعتمد تدريسه في المناهج الدراسية اليمنية، لنشرها في الصحف المحلية، على أن تتصف بقدر من الدقة والتوثيق، وهما أهم صفتين تفتقر إليهما كتابات الإعجاز العلمي.
إلا أن الحرب الأخيرة وما تسببت به، اضطرتني لتأجيل هذه المهمة لبعض الوقت كما أتاحت لي الفرصة للبحث والكتابة وجمع المزيد من المراجع والشواهد.. حتى تحولت المقالات إلى كتاب يقتصر على نقاش تلك الأمثلة. وقد حرصت على أن يبقى الكتاب صغير الحجم سهل المبنى واضح المعنى؛ حتى يتسنى استيعابه على أوسع نِطاق. (ثم قمت بتوسيعه وتنقيحه ونشره كما هو الآن في الطبعة الثانية.)
ولأن مشكلتنا مع العلم والدين لا تبدأ مع الإعجاز العلمي، كما لا تنتهي عنده؛ كان لزاماً عليَّ أن يشمل الكتاب عرضاً ولو قصيراً لما سببه هذه الخلط من عرقلة للحركة العلمية والتعليمية. فليست هذه الظاهرة إلا تعبيراً عن خلطٍ قديمٍ بين العلم والدين في ثقافتنا الإسلامية، ونحن ولو جئنا إلى مصدره الحقيقي واعترفنا به، سَهُل علينا علاجه وعلاج آثاره بعد ذلك.
دعاوى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية بالمئات إن لم تكن بالآلاف؛ لذا من الصعب حصر ودراسة كل قول فيها، وربما هذا ما أضطر أغلب من كتبوا في نقد الإعجاز بتعميم الكلام عنه دون تفنيد محدد. فالقضية ليست إعجازاً علمياً بقدر ما هي عجزٌ عن ملاحقة أهل الإعجاز العلمي. فهذا

الكتاب ليس بحثاً علمياً محايداً تقوده معطيات البحث وفق منهجية علمية منضبطة إلى نتيجة محددة؛ فليس ثمة هنالك منهجية علمية في الإعجاز العلمي فضلاً عن تسميته بعلم الإعجاز العلمي، ولا ضابط لتأويلاته ولا التزام بها كما سنرى، حتى لتلك الضوابط التي حددتها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.
إذ يشترطون (ثبوت النص، وصراحته، وتأويله بحيث لا يخالف بقية الآيات وسياقها وسبب نزولها، وثبوت الحقيقة العلمية، واحتمال اللغة وفهم العرب حينها لهذا التأويل) [1]، لكن في الواقع نجدهم يؤوّلون أحاديثاً ضعيفة، ويخالفون سياق الآيات وسبب نزولها ويؤوّلون إلى نظريات غير ثابتة أو خاطئة علمياً، وبشكل لا تحتمله اللغة ولا فهم العرب سابقاً أو لاحقاً.

لذلك توجّب العثور على مجموعة أمثلة من هذه التأويلات تحت مظلة واحدة لأخذها كنموذج، ثم تحليلها كلها والخروج منها بنتيجة يجوز لنا تعميمها مادامت أساليبهم هي نفسها تقريباً في أي منهج أو مقال أو مجلة أو كتاب أو موقع الكتروني، فوجدتها فرصة لتصحيح المناهج الدراسية اليمنية، ونقد جميع الأمثلة الواردة فيها، التي هي نفسها أشهر أطروحات الإعجاز المتداولة. وكما أسلفت فقضيتنا ليست مع هذه الأمثلة بذاتها، ولا عند الإعجاز العلمي فحسب، إنما هي تلك النظرة العلمية للقرآن الكريم، وذاك التعامل الجامد معه، العالق في ألفاظه وأمثاله وتشبيهاته، دون معانيه وغاياته وأهدافه.

1 الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ص32،31،30

منهجية الكتاب:

في الفصل الأول من هذا الكتاب سنستعرض جميع دعاوى الإعجاز الواردة في المناهج الدراسية اليمنية، مصوّرةً من المنهج الدراسي اليمني، ومرتبة بحسب السنة الدراسية والمادة، مع التنويه لمواضع تكرارها هناك... وبعد ذلك مقابلتها وتفنيدها من الحيثيات التالية:

- مخالفتها للسياق العام للآيات وسبب نزولها.
- مخالفتها لتفاسير السابقين.
- مخالفتها لمعاني الكلمات في المعاجم اللغوية.
- مخالفتها لآيات قرآنية وأحاديث أخرى.
- مخالفتها للحقائق العلمية، ووصفهم الخاطئ لها.
- معرفة القدماء لبعض هذه الحقائق العلمية قبل نزول القرآن.
- ورود نصوص دينية أو شعرية أو أسطورية سابقة للقرآن تحتمل نفس التأويل الإعجازي.
- بيان التعارض العلمي الذي تصطدم به الآيات عند النظر إليها علمياً.

ثم في الفصل الثاني من الكتاب سنتناول بدايات ظهور هذه الأزمة في الحضارة الإسلامية، وعلاقة علماء الدين بها ومشكلتهم مع العلوم الطبيعية، وأثر (النظرة العلمية للنصوص الدينية) السلبي، على مسيرة العلم في الحضارة الإسلامية قديماً وحديثاً، وعرقلته لعلماء الطبيعة الأوائل.. وقد أضفت إلى هذه الطبعة فصلاً مدخلياً عن مصادر المعرفة العلمية لدى العرب قبل الإسلام، ووسعت كثيراً من الفقرات الموجزة، وفي الختام توضيح لأهداف هذا الكتاب الذي آمل أن يكون مساهمة في رفع هذه الجناية المُرتكبة في حق الدين والعلم، والجيل.

والله من وراء القصد.

محمد علي عطبوش

20/ يناير/ 2016

لماذا نقد الإعجاز العلمي؟

كثيراً ما نسمع في السنوات الأخيرة عن صدور بحث أو كتاب في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أو السنة النبوية. يتقدم بها مؤلفون متحمسون إلى إبراز شمولية القرآن الكريم ببيان سبقه إلى الكشف، أو على الأقل إلى الإشارة إلى كثير من الحقائق التي لم يصلها العلم إلا حديثاً، مما يشكل مظهراً جديداً من مظاهر إعجازه، وليكون مدخلاً للدعوة إلى الإسلام. "ولقد كان لهذا الأسلوب أثر في إسلام بعضهم، لكنهم أقل بكثير ممن يسلم بسبب الاقتناع بالإسلام... وعدد المتأثرين به قليل لا يكاد أن يوازوا ما يقوم به داعية أو مركز إسلامي" [1]ومع نبل مقصد هؤلاء المؤلفين وشرفه فإن المسألة فيها خطر من عدة وجوه.

«فأن يقوم علماء الغرب بالكشف عن حقيقة علمية انطلاقاً من مبادئ فكرية وفرضيات منهجية تجريبية لا علاقة لها إطلاقاً لا بالقرآن ولا بأي دين، ثم يأتي أحدهم دون أن يكتشف شيئاً، ويعمد إلى تأويل آيات وألفاظ القرآن ويقول: (هذا موجود عندنا في القرآن الكريم) بالصورة التي تخدم غرضه وبطريقة لا تخلو من تعسف، ضارباً صفحاً عن آيات أخرى يخالف ظاهرها ما يريد أن يثبته بالتأويل، فهذا ما لا يخدم أي قضية من قضايانا، وهذا ما لسنا في حاجة إلى تكلّفه.» [2]

مفهوم الإعجاز الذي اُستنبط من القرآن ليكون متحدياً ومعجزاً للعرب عن الإتيان بمثله، يقتصر -كما حرره معظم المسلمين- على «لفظ القرآن ونظمه وبيانه، وليس راجعاً إلى شيءٍ خارج عن ذلك. فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب

1 مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين، ص25، 37.

2 محمد عابد الجابري، مقال: القرآن والعلوم الكونية (سلسلة المواقف، العدد31، سبتمبر 2004) بتصرف

المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لم يدركه عِلمُ المخاطَبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان» [1] وهذا ما أقره المحقق محمود شاكر [2]، ووافقه عليه الدكتور مساعد الطيار، بالاقتباس السابق.

«فلفظ الإعجاز في قولنا (إعجاز القرآن) ولفظ المعجزة في قولنا (معجزة الأنبياء)، كلاهما لفظ مُحدَث مولّد لا نجدهما في كتاب الله ولا في حديثٍ نبوي ولم يُستخدما أيضاً في كلام الصحابة أو التابعين على المعنى المتعارف عليه، إلى أن أنقضى القرن الأول والثاني الهجري.. ولئن كان إعجاز القرآن مركّب مستحدث مولّد قد أخذ جدالاً واسعاً في ظهوره واصطلاحه، فإن الإعجاز العلمي هو مركب معاصر مستحدث من مركّب مولّد.» [3]

كان للإعجاز العلمي الإسلامي نماذج مبكرة مثل اجتهادات ابن القيم [4] والرازي [5] والسيوطي ومؤلّفات العلاج بالقرآن [6] وتبريرات الفقهاء للطب النبوي علمياً [7]، إلا أنه لم يأخذ صفة الاصطلاح إلا مع بداية القرن العشرين تحت وطأة الإحراج الحضاري والفارق العلمي الذي بدأ المسلمون في إدراكه بينهم وبين الغرب. ومع الوقت أصبح للإعجاز العلمي منظمات ومراكز أبحاث وندوات واسعة.

---

1 مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين، ص48.

2 محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص153 – 154. أو مقدمته لكتاب مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص26.

3 مرهف عبدالجبار سقا، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط1، ص 78، 87

4 مبثوثه في كتاب الطب النبوي (وهو جزء من كتاب زاد المعاد)

5 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 1/8. وفي تفسير الرازي نفسه: 14/274.

6 توفيق الفهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص172

7 مثال ذلك تبرير القاضي عياض لحديث علاج الإسهال بالعسل، (إكمال المعلم بفوائد مسلم: 7/ 112) ؛ وكذلك تبرير ابن قتيبة الدينوري لحديث جناح الذبابة طبياً (تأويل مختلف الحديث: 335)

مشكلة أهل الإعجاز هي مشكلة منهج قبل أن تكون مشكلة تزييف للحقائق. يعاتبهم طه العلواني قائلاً «لو أن أحدكم قال يا علماء، هذه النظرية استنبطتها من القرآن الكريم وأتيت بها منه ودخلت بها المختبر وتأكدت من صحتها، وأتحداكم أن تقدموا لي ما هو خير منها، فهذا تحدٍّ وإعجاز» [1]

ويبقى النقاش بيننا كمؤيدين ومعارضين حول خطر هذا التعامل العلمي مع النصوص بشكلٍ عام، وحول مقاصد القرآن، أو تناقض التأويلات الجديدة مع نصوص دينية أخرى إلى غير ذلك. لو كان الأمر كذلك لكان الخلاف حينها بين وجهات نظر مُحتملة، لموضوعٍ واحدٍ مقبول. ولكن الخلاف معهم الآن -بالإضافة لمنهجهم المعكوس هذا- هو خلاف بين ما هو علمي وما هو زائف وخاطئ ابتداءً.

مشكلة السبق العلمي الذي يدّعونه، أنه دائماً لاحق للاكتشاف العلمي وليس سابقاً له. «وهذا يفتح باباً ليسألنا سائل قائلاً: وأين كنتم؟ ولماذا لم تزيلوا السِتار عن هذه الحقائق العلمية، وهي لديكم في كتابكم ما تزعمون؟، إلى غير ذلك من الاعتراضات والإحراجات التي تزرع الشكوك، والتي نحن أصلاً في غنىً عنها؛ لأن قضيتنا في غنىً عن تأييد أو عدم تأييد "الحقائق" العلمية لكتابنا» [2]. فادّعاء وجود هذه الحقائق العلمية في القرآن الكريم منذ نزوله على الرسول ﷺ دون أن نعرفها نحن، يستلزم أحد أمرين خطيرين: إما أن الرسول لم يعرف معناها، أو أنه كان يعرف ولكنه قصّر في البلاغ [3]! وحاشاه عن كِلا الأمرين. وإلا «فكيف غاب ذلك كله عن سلف هذه الأمة وهم الذين تلقوا القرآن

---

1 طه العلواني، جدالات الإعجاز العلمي، حوار أجراه: معتز الخطيب، الملتقى الفكري للإبداع، 25/3/2007

2 محمد عابد الجابري، مقال: القرآن والعلوم الكونية، مرجع سابق

3 أنظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الاعجاز العلمي إلى أين، ص33

غضاً. وإذا كانت تلك الحقائق قد انكشفت لهم، فلماذا لم ينتفعوا بها» [1] الحقائق العلمية هي دائماً وأبداً حقائق نسبية، وفي الغالب مؤقتة، «فبنية العلم هي إدراكُ أخطائه» كما يقول باشلار -فيلسوف العلم الفرنسي- لأن العلم ينمو ويتجدد ويتجاوز نفسه باستمرار، حيث أن كل حقيقة يكتشفها هي معرضة لأن يتجاوزها اكتشاف علمي آخر، يجعل منها نظرية باطلة. فربط أي آية بكشف من الكشوف العلمية ينطوي على مجازفة خطيرة؛ لأنه لا أحد يضمن أن هذا الكشف العلمي سيظل يشكل بالنسبة إلى العلم والعلماء حقيقة علمية، حتى ولو كان واضحاً وضوح النهار. ويستنكر الشيخ عبد الباري الندوي ذلك بقوله: «فكّروا لحظة.. ألا يصبح الدين ألعوبة من ألاعيب الأطفال بمثل هذه التطبيقات والتلفيقات القسرية؟» [2] خاصةً وقد مرت علينا سوابق ادعى فيها أهل الإعجاز سبق القرآن إلى حقائق العلمية، ثم ثبت بطلانها لاحقاً* . وصرح شيخ الأزهر محمود شلتوت بالخوف من هذا المنهج الذي بسببه «يتحمل القرآن تبعات الخطأ في هذه النظريات، ولا يسهُل الدفاع بعد ذلك» [3]، وقد ظهر ذلك جلياً في موجة الإلحاد التي نلاحظها بين الشباب اليوم. [4] إذ يتكرر ذكر الإعجاز العلمي، وتعارض الدين والعلم، كأهم عامل من عوامل تحولهم عن الدين، ويتداولون مواضيع الإعجاز العلمي كأضحوكة ومادة للسخرية في جميع وسائل التواصل الاجتماعي ومجالس النقاش.

1 عبدالكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها،

2 عبد الباري الندوي، الدين والعلوم العقلية، دار ابن حزم، ص64

* مثل تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾ إلى أنها إشارة إلى أسطورة الأثير. يُنظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، ص61 ؛ وكذلك »قالوا لقد اعتبر القرآن الذرة أصغر شيء، وأنها لا تقبل التقسيم، وجاء العلم الحديث ففتت الذرة وجعل لها أجزاء. "محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 9/60.

3 محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص11 – 14

4 بحسب استطلاع لمعهد WIN-Gallup في 2012 بلغت نسبة اللادينيين في العالم العربي 18% وهي أعلى من نسبة اللادينيين في امريكا اللاتينية وافريقيا وجنوب آسيا.

إن القرآن الكريم دائماً يقدّم نفسه كـ "بَيَان لِّلنَّاسِ". والناس الذين خاطبهم القرآن بلغتهم هم عرب الجزيرة العربية، قال الطبري «الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها، وما يتعارفونه بينهم من الكلام» [1]، فلفت نظرهم إلى ظواهر الكون الظاهرة للعيان، إلى الإبل كيف خُلقت وإلى السماء كيف رُفعت وإلى الجبال كيف نُصبت وإلى الأرض كيف سُطحت، كما تبدو لهم كل يوم وهي مرفوعة ومنتصبة ومسطّحة، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾، أمثالهُم هُم، بغض النظر عن صحّة ودقة هذه الأمثال علمياً. «مثل هذا الفهم البياني هو الأنسب، لأنه في متناول الإنسان مهما كانت درجة تطوره الفكري، هو فهمٌ يقوم على المشاهدة الظاهرية للشيء، وهو يفي بالغرض، في هذا الموضوع، غرض الاعتبار والانتقال من المشاهدة إلى طرح السؤال المطلوب. والسؤال المطلوب هنا ليس من قبيل كيف يحدث هذا النظام الكوني؟، بل السؤال المطلوب هو: مَن خلق هذا النظام؟» [2] لأجل ذلك قال الشيخ نديم الجسر (مفتي لبنان سابقاً) في معرض كلامه عن الدين والعلم:

«هؤلاء الذين يقولون أن القرآن لم يترك شيئاً من العلوم إلا وأشار إليه... ليسوا بعلماء ولا عقلاء ولا أذكياء، فالقرآن ليس بدائرة معارف علمية ولا من مقاصده إرشاد الناس إلى العلوم الكونية من باب التعليم. ولكن ما ورد فيه من الآيات التي تشير إلى حقائق كونية كشفها العلم، إنما ورد بقصد التنبيه إلى ما في خلق العالم من آثار وجود الله [كما يراها الناس]، ولم يقصد به تقرير العلوم الكونية؛ لأن القرآن خطاب للبشر بلغة البشر، والله أحكم من أن يخاطب الناس بأمور لا يعرفون أسمائها فضلاً عن أسرارها. وأما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم والنواميس القائمة فيه وغير ذلك فأنه ليس من مقاصد الشرائع، بل تلك معارف يتوصلون إليها بعقولهم. والشرائع لا تُعنى

1 تفسير الطبري، 15/ 313

2 محمد عابد الجابري، القرآن والعلوم الكونية، مرجع سابق

بتفاصيلها وتكتفي بذكر شيء مجمل من أمرها على قدر ما يكون له دخل في مقاصدها الأصلية.» [1]

وهذا ما خطّــأه البيروني 440هــ بقوله «أنّ القرآن لم ينطق في هذا الباب وفي كلّ شيء ضروريّ بما يحوج إلى تعسّف» [2]

وقال الإمام الشاطبي 790هــ بقوله:

«أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم [الرياضيات]، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح... وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا، نعم، تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبني على معهودها... أما أن فيه ما ليس من ذلك، فلا. وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ وقوله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ونحو ذلك... فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [أي] اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.» [3]

وفي تعقيب التوحيدي على اخوان الصفا، نراه يعرّف الفلسفة أنها مجموعة علوم، فيقول: «الفلسفة التي هي علم النّجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطّبيعة...» [4] وقد كانت العلوم الطبيعية جزءً من الفلسفة حينها،

---

1 نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص210، 243.

2 أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، 1377هــ/ 1958م، ص 219.

3 أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، 2/ 127 – 129

4 التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص164

فيعتبر التوحيدي ربط هذه المباحث الفلسفية العلمية مع الشريعة هو نوع من "الدسّ" عليها مما ليس لها علاقة به. فيقول التوحيدي أن الشريعة الإسلامية «ليس فيها حديث الفلكي ولا حركات الكواكب والأفلاك ومقادير الأجرام ولا تربيعها وتثليثها، وتسديسها ومقارنتها. ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها، ولا حديث الأبدان وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الأشياء ونقطها وخطوطها وسطوحها وأجسامها وأضلاعها وزواياها ومقاطعها، وما الكرة؟ وما الدائرة؟ وما المستقيم؟ وما المنحنى؟..» [1]

ويجادل التوحيدي أن هذه العلوم «لو كانت جائزة وممكنة لكان الله تعالى نبّه عليها، وكان صاحب الشريعة يقوّم شريعته بها، ويكمّلها باستعمالها، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها، أو يحضّ المتفلسفين على إيضاحها بها ويتقدم إليهم بإتمامها» لكن الواقع غير ذلك، وهو العكس تماماً، فالرسول «لم يفعل ذلك بنفسه، ولا وكّله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينها» ثم يذكر التوحيدي أن المسلمين انقسموا فرق وطوائف شتى، وأن الفقهاء ناقشوا مختلف مسائل الدين الأساسية والفرعية، «فما فزعوا في شيء من ذلك إلى منجّم ولا طبيب ولا منطقيّ ولا مهندس ولا موسيقيّ ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء، لأنّ الله تعالى تمّم الدين بنبيه صلّى الله عليه وسلّم.. فأين الدّين من الفلسفة؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحي النّازل، من الشيء المأخوذ بالرّأي الزائل؟» [2]

وقد أوقعت هذه النظرة الفقهاء في حرج من مكتشفات علمية تخالف نصوص الدين، اضطروا للمكابرة عليها وإنكارها، ليرد عليهم حجة الإسلام، الإمام أبو حامد الغزّالي 488 هـ قائلاً:

---

1 المرجع السابق، ص165 (بتصرف)

2 التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 165، 166

«من ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين فقد جنى على الدين، وضَعَّف أمره، فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابيَّة لا يبقى معها ريبة. فمن تطلَّع عليها، ويتحقَّق أدلّتها ... إذا قيل له إن هذا على خلاف الشرع، لم يسترِب فيه، وإنما يستريب في الشرع، وضرر الشرع ممَّن ينصرهُ لا بطريقه، أكثر من ضرره ممّن يطعن فيه بطريقه. وهو كما قيل: عدوٌّ عاقل خيرٌ من صديقٍ جاهل.» [1].

وكذلك رفضوا دوران الأرض ليرد عليهم الشيخ الألباني في القرن العشرين قائلاً:

«ليس من وظيفة الشرع عموماً والقرآن خصوصاً أن يتحدث عن علم الفلك ودقائق علم الفلك، فهذه القضايا ليس من المفروض أن يتحدث عنها الرسول، وإن تحدث هو في حديثه –أو ربنا عز وجل في كتابه – فإنما لغاية أو لآية أو لمعجزة ونحو ذلك.» [2]

وكذلك ناقدُ الغزالي الشهير (ابن رشد) لم يخالفه في هذه النقطة، وكان يفصل بين الدين وبين العلم [3] الذي كان في عصره جزءاً من الفلسفة.

وقد أظهر ابن سينا موضوعية علمية لافتة عندما تحدث عن مرض عقلي معروف قديماً باسم المالنخوليا، فذكر أن بعض الأطباء عزوه إلى الجن، والجن ليست مخلوقات مادية يمكن التعامل معها علمياً، حتى وإن كان يؤمن بها دينياً، لذلك نحّاها ابن سينا قائلاً «ونحن لا نبالي من حيث نتعلم الطب أن ذلك يقع عن الجن أو لا يقع» واكتفى بتعليلها الطبي (السوداء) واعتبره سبباً قريب يُعنى به الطبيب. ولم يُحاول إثبات وجود الجن علمياً، أما السؤال عن سبب السوداء؟، وما هو سببُ سببِ السوداء؟ فهي سلسلة أسباب ليست من شأن

---

1 أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، المقدمة الثانية، ص80.

2 موسوعة الألباني في العقيدة، 7/504

3 يُنظر: ابن رشد سيرة وفكر، محمد عابد الجابري، ص113.

الطبيب، واكتفى بقوله أن المرض «سببه القريب السوداء، ثم ليكن سبب تلك السوداء جناً أو غير جن» [1]

***

كما نرى، فمحاولات الإعجاز العلمي ليست حادثة اليوم، بل لها سوابق عديدة، لعل أقدمها هو ما ذكره جابر ابن حيان في القرن الثاني الهجري لقوله تعالى ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ «قيل: إن هذه الأربعة طيور كانت الأرواح الأربعة» [2] ويقصد نظرية العناصر الأربعة عند اليونان (الأرض والماء والنار والهواء) التي كانت شائعة كحقيقة علمية حينها. وتراوح عبث أهل الإعجاز العلمي بالقرآن ابتداءً من محاولة استخراج قاعدة هندسية في المثلثات من قوله تعالى ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [3]! وليس انتهاءً بمحاولة حساب سرعة الضوء من قوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [4]! وتصدي بعض رجال الدين لهذه التأويلات كان حاضراً منذ بدايتها ودافعوا عن القرآن ضدها، لكن أصواتهم ضاعت، واعتراضاتهم قد دُفنت بين ركام ثقافة لا تفرق بين عالِم الطبيعة وعالِم الدين، وبسبب هذا الخلط ما زلنا حتى اليوم نرى أرباب البهلوانات التأويلية -التي تحتاج بدورها إلى تجديد بعد كل فترة- يجدّون لتكريس هذه النظرة العلمية للنصوص حتى بحثوا عن الكواكب في صفحات القرآن، لا خلف عدسات التلسكوبات، وعن الدواء في متون الأحاديث، لا في مختبرات الطب، وعن محيط الأرض في أرقام الآيات، لا في وسائل القياس العلمية. بطريقة عاد أثرها على المتدينين بأزمتين: الأولى اكتساب قابلي هذه التأويلات مرونة ساذجة، تفقدهم حساسية التمييز بين ما هو علمي وما هو

1 ابن سينا، القانون في الطب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999) ص105

2 رسائل جابر بن حيان، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2006)، ص540

3 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 3/ 318

4 سرعة الضوء في القرآن الكريم، محمد دودح، وكُتب منصور محمد حسب النبي

زائف. والثانية فقدان رافضي هذه التأويلات الثقة بكامل الدين. وكلاهما أسير لنفس النظرة العلمية للنص، التي هي -إلى جانب عدد من الأسباب- كانت سبباً في انحطاط الحضارة الإسلامية الكبرى، وعائقاً حقيقي أمام التقدم العلمي والبحث الموضوعي المتجرد.

مصادر العرب قبل الإسلام

قبل الخوض في تفنيد إدعاءات الإعجاز العلمي واستعارض سبق الحضارات والأديان والأساطير والأشعار لها، يجب توضيح مسرح الحياة العربية قبل الإسلام وعلاقاته بما حوله من حضارات، حتى نفهم كيف انتقلت هذه التصورات العلمية إلى العرب رغم غياب العلوم عندهم، لتصبح جزءاً من خلفيتهم الثقافية ولغتهم، بحيث أن القرآن حين نزل باللغة العربية، استخدم هذه التصورات الوافدة؛ لكونها أصبحت جزءاً من اللغة. يقول ابن خلدون:
«أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأميّة. وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء... فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم... فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحِدثان والملاحم وأمثال ذلك...وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات» [1]
وملاحظة أبن خلدون أن أخبار بدء الخليقة ومثلها هو مما لا تعلُّق له بالأحكام الشرعية، تبيّن إدراكه العميق للفصل بين مهمة الدين ومهمة العلم. فأكد أن الرسول ﷺ «إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات. فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم.» [2] وفي البخاري: «إنَّا أمةٌ أميةٌ، لا نكتبُ ولا نَحْسُبُ» [3]
يقول صاعد الأندلسي في القرن الخامس الهجري أن العرب «لم يكن فيها عالم مذكور ولا حكيم مشهور» [4] باستثناء عِلمٍ واحد «كانت تتفاخر به وتباري

1 مقدمة ابن خلدون، ص554، 555

2 مقدمة ابن خلدون، ص651

3 صحيح البخاري: 1913

4 صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص42

به: فعلم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب وعلم الأخبار ومعرفة السير والأمصار ». ومصداق ذلك ما قاله عمر بن الخطاب «كان الشعر علم قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصح منه.» [1] ويذكر صاعد الأندلسي عن الهمداني قوله: «ليس يوصل إلى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم، وذلك أن من سكن بمكة .. أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية وأخبار أهل الكتاب. وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد أبي كرب وبختنصر حووا على الأعاجم وأخبارهم وأيام حِميَـر ومسيرها في البلاد..، وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خبيرٌ بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونانيين، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإياد فعنه أتت أخبار طسم وجديس، ومن وقع بعمان فعنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشيء من أخبار فارس، ومن وقع بجبلي طيء فعنه أتت أخبار آل أذينة والجرامقة، ومن سكن باليمن فإنه علم أخبار الأمم جميعا.. لأنه في ظل الملوك السيارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال.. والعرب أصحاب حفظ ورواية.)» [2]

وتؤكد المعطيات الأثرية والنقشية المكتشفة في اليمن وفي بعض الجزر اليونانية على وجود صلات تجارية وحضارية بين اليمن القديم والحضارة اليونانية، فقد ترك لنا التجار اليمنيون آثاراً تؤكد وصولهم تلك البقاع، وبالذات جزيرة ديلوس، إذ عُثِر على مذبح نُحِت عليه نقش بخط المسند يقول: (حنا وزيد إل، من عشيرة خذن، تقرباً بمذبح للإله "ود" إله المعينيين بجزيرة ديلوس اليونانية). كما عثر في نفس الجزيرة على نقش آخر لتاجر حضرمي يدعى

1 طبقات الأمم، ص44. وكذلك طبقات فحول الشعراء، ص24

2 صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص44، 45

"غلمب".[1] وتحدث المؤرخ الكبير جواد علي في موسوعته عن تاريخ العرب قبل الإسلام كثيراً عن علاقة العرب بمعارف الحضارات والأديان المجاورة، فذكر أنه: «وُجِد عند ظهور الإسلام قوم كانوا يكتبون ويقرءون ويطالعون الكتب بمكة ولهم إلمام بكتب أعجمية، ومن هؤلاء "الأحناف" وقد ذُكر عن بعض أنهم كانوا يجيدون بعض اللغات الأعجمية، وأنهم وقفوا على كتب اليهود والنصارى وعلى كتب أخرى.» [2] «الجاهليين كانوا قد وقفوا على ترجمة العهدين وهناك أخبار تفيد أن بعض رجال الدين في العراق كانوا قد ترجموا الكتاب المقدس إلى العربية وذلك قبل الإسلام... ولا يستبعد وجود ترجمات للكتاب المقدس في الحيرة، لما عرف عنها من تقدم في الثقافة وفي التعليم لوجود النصارى المتعلمين فيها بكثرة... فلا غرابة اذا ما قام هؤلاء بتفسير الأنجيل وشرحها للناس للوقوف عليها» [3] «كان العرب في الجاهلية يعرفون الترجمة والتراجيم، قال الأسود بن يَعفُر يصف حرص أحدهم على الحصول على الخمر:

حتى تناولها صهباء صافية يرشو التجار عليها والتراجيما» [4]

«ومنذ فتوح الإسكندر المقدوني في الشرق في القرن الرابع ق.م انتشرت الثقافة الهلّينية (اليونانية المتأخرة) في سورية ومصر والعراق وفارس ونشأت المدارس المختلفة» [5]

ويستطرد جواد علي مطولاً أنه «كان بعض اليهود قد عَلِم كتاب العربية، وكان تعلّمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون... ولا أستبعد تأثر المثقفين الجاهليين ومن كان على اتصال بالعجم

1 دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، د. أسمهان سعيد الجرو، (دار الكتاب الحديث، 2003)، ص86.

2 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 8/114

3 المرجع السابق، 6/681

4 عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، ص168

5 عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص111

وباليهود والنصارى بالآراء الفلسفية والدينية وبالجدل الذي وقع بين المذاهب النصرانية في أمور عديدة. فقد خالط الجاهليون، ولا سيما في بلاد العراق وبلاد الشأم، أقوامًا عديدة ذات ثقافات متباينة، واحتكوا بها، وأخذوا منها، فلا يعقل ألا يتأثروا ببعض آرائهم في الكون وفي الحياة وفي سائر نواحي التفكير... وقد ذكر أهل الأخبار أن وهب بن منبه وأخاه كانا يستوردان الكتب القديمة من بلاد الشأم. ويرد مصطلح "الكتب القديمة" في كتب السير والأخبار. ووهب بن منبه وأخوه من الإسلاميين، ولكن استيرادهما للكتب لم يكن بدعًا واكتشافًا منهما، بل لا بد أنه كان قديمًا معروفًا عند الجاهليين... لأن المثقفين وأصحاب الرأي والعزم كانوا على اتصال بالعالم الخارجي، وكانوا يدارسون الأعاجم ويأخذون عنهم، وقد درس بعضهم في مدارس الفرس والعراق وبلاد الشأم، ولغة الدراسة في تلك البلاد السريانية واليونانية والفارسية، فلا يستغرب أن يكون مِن هؤلاء مَن درس بلغة من هذه اللغات في الحجاز أو في اليمن. أما في بلاد العراق وبلاد الشأم، فالأمر لا يحتاج فيها إلى نظر، فقد رأينا أن عربهما أسهموا في الحركة العلمية قبل الإسلام لكنهم أسهموا بلغة السريان، لا باللغة العربية» [1] «والسريانيين كانوا قد اقتبسوا من اليونان أجرومية النحو وأصول الشعر وفلسفة قواعد اللغات بترجماتهم الكتب اليونانية إلى اللغة السريانية. وأن جماعة من النصارى العرب كانوا يزورون القسطنطينية وبلاد الشأم ويقرءون الكتب الدينية من آرامية ويونانية للتعلم والتثقف، وهؤلاء هم الذين تولوا تثقيف أبنائهم العرب وتعليمهم. وأناس من هذا الطراز لا بد وأن يكونوا قد تأثروا بما تعلموه من اليونان ومن السريانية...وترجموا الموضوعات الدينية ولا سيما الكتب الدينية إلى الناس لتفقيههم بأمور دينهم... أما ما قيل له "الأساطير" أو "كتب الأساطير"، فهو كتب قصص وسمرٍ

1 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 8/114، 322، 336

وحكايات وتواريخ. وتدل التسمية على أنها من أصل يوناني... وهي Istoriya "استوريا" في اليونانية، وHistoria في اللاتينية، وقد أطلقت عندهم على كتب الأساطير والتأريخ. ويظهر أن الجاهليين قد أخذوها من الروم قبل الإسلام، واستعملوها بالشكل المذكور وبالمعنى نفسه، أي: في معنى تأريخ وقصص. ولا أستبعد وجود الكتب التأريخية باليونانية وباللاتينية في مكة، فقد كان في مكة وفي غير مكة رقيق من الروم، كانوا يتكلمون بلغتهم فيما بينهم وينطقون بها إذا تلاقوا، كما كانوا يحتفظون بكتبهم المقدسة، وبكتب أخرى مدوّنة بلغتهم ... وقد مارس التطبيب بين العرب المبشرون، وذلك بعد الميلاد بالطبع، وأكثرهم من الأعاجم، وكانوا قد درسوا الطب وتعلموه على الطريقة اليونانية في الغالب، فلما أرسلوا إلى بلاد العرب أو جاءوا هم أنفسهم للتبشير، مارسوا تطبيب المرضى، وقد شفوا جماعة من سادات القبائل، وأثر شفاؤهم هذا عليهم فاعتنقوا النصرانية. واشتهر "العباديون" بالتطبيب كذلك ولعل ذلك بعامل تنصرهم، فقد كان أكثر رجال الدين النصارى يدرسون مختلف العلوم، وفي جملة ذلك الطب، ومنهم من ترجم كتب العلوم اليونانية إلى السريانية... فما يزعمه القائلون بعزلة الجاهليين عن بقية العالم هو هراء لا يستند إلى دليل» [1]

1 المرجع السابق، 311، 312، 316، 318، 412، 567

الفصل الأول

نقد الإعجاز العلمي

دروس الصف السابع
كتاب التربية الإسلامية

«وهذه العلوم الكونية لم توضع لتخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسراره، وإنما ذكر منها ما ذكر للهداية» [1]

– الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

من شيوخ الأزهر

1 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 2/355

1 - مرج البحرين يلتقيان [1]

- وصول العلماء إلى حقيقة أنه يوجد حاجز بين أي بحرين ملتقيين مثل البحر الأحمر والمحيط الهندي، وهذا الحاجز يميز بين البحرين، ويوضح أن لكل منهما خصائص تميزه عن الآخر، كما قال تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ [الرحمن]

أولاً

وقع خلاف بين المفسرين حول البرزخ أنه «اليبس بين البحرين، وقيل: بالهواء بين بحر السماء وبحر الأرض، وقيل: بالقدرة بين الملح والعذب، فلا يختلط الملح بالعذب» [2] وممن قالوا أنه اليبس: ابن عباس والحسن ومجاهد [3]. لكن الطبري خالفهم وقدّم تبريراً قوياً يؤيد الرأي الأخير «لأن الله أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط، فلو كان البرزخ أرضاً أو يبساً لم يكن هناك مرج» [4]. فأخذُ البرزخ بمعنى الحاجز المائي إذن هو تفسير وجيه، ولكن قبل نقاشه تجب الإشارة إلى أمر..

ثانياً

تجب الإشارة هنا إلى أن المياه المختلفة عند التقائها، لا يكون بينها فاصِلٌ حاد

---

1 الصف السابع، كتاب التربية الإسلامية، الجزء الثاني، ص25
وتكرر في الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية، الجزء الأول، ص57

2 تفسير السمعاني، 4/26

3 تفسير الطبري، 17/473، 474. 14/475

4 تفسير الطبري، 17/475

كما قد يتبادر إلى الذهن، بل يحدث بعض التمازج بينها، بدليل أن البحار التي تصبّ فيها الأنهار، تكون ملوحتها أقل من تلك البحار التي لا تصب فيها الأنهار، مثل مياه المحيط الأطلسي القريبة من مصب نهر الأمازون[1]، وقد تنبّه الرازي إلى ذلك عند تفسير الآية فقال: «الأودية ليس فيها ماء ملح، والبحار ليس فيها ماء عذب .. لأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض أو الماء، فلا بد من الاستواء»[2] ومع ذلك يبقى هناك تمايز نسبي يحفظ لكل مياه خواصها التي تميزها عن المياه الأخرى، وهو ما يمكن أن نسميه حاجزاً مائياً.

ثالثاً

ظاهرة "الحاجز المائي" هذه ليست اكتشافاً علمياً حديث، فقد ذكر الطبري في تفسيره رواية عن ابن جُرَيج [وهو عراقي] قال فيها: «فإن دجلة تقع في البحر، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر، فلا تمور فيه، بينهما مثل الخيط الأبيض..»[3] فيشير إلى أن خبيراً أخبره بها، أي أنها كانت ظاهرة معروفة للذين يعيشون عند مصب شط العرب (نتيجة اتحاد دجلة والفرات)، وتشهد على ذلك أساطيرهم السومرية أن مياه الأنهار والأهوار تخرج من اعماق البحر الذي يسمونه (الأبسو) نسبة لإله البحر (الأبسو) ففي تلك الأعماق موطن إله المياه العذبة المسمى (أيا).[4]

وقد عرف الهنود الحمر ظاهرة عذوبة الماء بين نهر الأمازون والمحيط منذ عصور سحيقة. وذكرها الفيلسوف اليوناني أرسطو في حوالي سنة 350 ق.م بعد أن لاحظ وجود ثلاثة ينابيع من المياه العذبة في الاعماق البعيدة لبحر

---

1 livescience.com, Why Is the Ocean Salty?

2 تفسير الرازي، 24/475

3 تفسير الطبري، 19/283

4 ملحمة كلكامش، اوديسة العرق الخالدة، طه باقر، 1962، ص93

بونتاس (الاسم الاغريقي القديم للبحر الاسود)، قائلاً:
«الماء الصالح للشرب أو الحلو أخف وينسحب عن الماء المالح والذي يكون ثقيلاً والذي لا يكون في مكانه الطبيعي» [1].
هذا بالإضافة لورود نص مشابه للآية في سفر التكوين من الكتاب المقدس يقول:
«لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ» [2]
وقد ذكر هذه الظاهرة المؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر(23.م) حيث لاحظ أن شِباك الصيادين كانت تتمايل في جهتين وتتراقص في الماء مما أثبت له وجود تيارين متعاكسين في بعض المناطق. [3]

رابعاً

تشبه هذه الظاهرة ظاهرة الينابيع العذبة في قاع البحار والمحيطات قريباً من الشواطئ في مناطق عديدة بالعالم. وقد وردت هذه الظاهرة «في أساطير الإغريق كأسطورة (ألفيوس واريثوسا) وفحواها أن الإلهة أرتيمس حوّلت الإلهة ألفيوس إلى نبع ماء عذب في قاع البحر. وقد أشار الجغرافي الإغريقي استرابو عام 63 ق.م إلى وجود ينابيع عذبة في عمق البحر. وحين وصل الأوربيون إلى هاواي بعد اكتشافها في أواخر القرن الثامن عشر وجدوا سكانها يجلبون ماء الشرب من ينابيع عذبة في قاع المحيط الهادئ .. وهناك مواقع بحرية أخرى بها ينابيع عذبة كشرق ساحل سانت أوغسطين بفلوريدا .. وقبالة مدينة بلوكسي بالمكسيك» [4]

---

1 Aristotle , Meteorology, Translated by E. W. Webster, Book II, Part 2

2 (سفر التكوين 1: 6)

3 Contemporary Issues in Estuarine Physics. edited by Arnold Valle-Levinsom. Cambridge. p12

4 مقال: في دحض مزاعم علمية القرآن...الحلقة الثانية، أحمد القاضي. بتصرف

خامساً

ظاهرة الينابيع هذه موجودة أيضاً في الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وتحديداً عند سواحل جزر دِلَمون (دولة البحرين حالياً، وهي سبب تسميتها)، ويبدو أن الآيات تشير إلى تلك المنطقة، خصوصاً وقد «أرسل النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أمير البحرين وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام» [1] كون سياق الآيات سواءً في سورة الفرقان أو الرحمن أو فاطر اللاتي نزلن بالتوالي كما يقول أبن عاشور [2] نجد ذكر (البحران المالح والعذب) يكون إلى جانب (استخراج اللؤلؤ والحُليّ) مثل:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:12]

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :19، 20، 21، 22]

و«شهرة دِلَمون بتصدير اللؤلؤ قديمة قدم تاريخ هذه الجزيرة» [3] حيث كان يستخرج اللؤلؤ والمرجان والحلي قديماً من الينابيع العذبة في قاع البحر. فيبدو أن هذه الآيات نزلت لتنبيه العرب لقدرة الله المتجلية في هذه الظاهرة التي يعرفونها تماماً بحكم اشتغالهم في استخراج اللؤلؤ والمرجان.

1 عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، ص157

2 التحرير والتنوير 27/228

3 فوزية الجيب، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى، 2003، ص81. «ورجح بعض الباحثين كون نبتة الخلود التي أخبر "زيو سودرا" بها "جلجامش" هي اللؤلؤ». قصي منصور التركي، الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد، دمشق، دار صفحات، 2008، الإصدار الأول، ص111

دروس الصف الثامن
كتاب الجغرافيا

»إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأوَّلين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك؛ وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم، لا يُراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة فى النفس وجلال فى القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة.[1]«
– الشيخ محمد حسين الذهبي

1 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 2/361

1 - كروية الأرض[1]

لذا فإن الأرض تظهر على شكل كرة ليست كاملة الاستدارة فهي مفلطحة عند القطبين، ومنبعجة عند خط الاستواء.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [سورة النازعات، آية ٣٠].

وإن لم يكن المؤلف قد ادّعى صراحة وجود إعجاز علمي في هذه الآية، إلا أن إقحامها بهذا الشكل في درس علمي بحت وفي كتاب الجغرافيا لطلبة المرحلة الابتدائية -وتكرر إقحام الآيات القرآنية كثيراً في هذا الكتاب- يكرس للخلط بين الدين والعلم عند الطلاب من الصغر ويشوش المنهجية العلمية في أذهانهم..

أولاً

وصف الأرض بأنها "بيضاوية" ليس وصفاً دقيقاً لها، فتفلطح الأرض المذكور لا تلاحظه العين مباشرة لدرجة تشبيه الأرض بالبيضة. أمّا من ناحية لغوية فكلمة دحا في المعاجم لا تعني التكوير، ولا تعني بيضة النعامة كما يدعي البعض.

جاء في **لسان العرب** «دحا الأرض أي بسطها» [2] و «الأدحوة: مبيض النعام في الرمل... لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش. ومدحى النعام: موضع بيضها» [3]

1 الصف الثامن، كتاب الجغرافيا، صفحة 15

2 لابن منظور، 3/93

3 المرجع السابق، 14/ 251

وجاء في معجم **العين** «الدحو: البسط. والأدحي: سرب النعام، وموضعه الذي يبيض فيه ويفرخ» [1] وجاء في **القاموس المحيط**: «دحا الله الأرض يدحوها ويدحاها دحوا: بسطها.. دحيت الشيء أدحاه دحيا: بسطته.. والأدحي: مبيض النعام.. وتدحى: تبسط» [2]

ثانياً

وصف الأرض بأنها مدحوة كان معروفاً عند العرب وعند غيرهم، ونجد هذا ظاهراًعند شعراء العرب الجاهليين قبل الإسلام، قال زيد بن عمر بن نفيل: [3]

أسلمت وجهي لمن أسلمت   له الأرض تحمل صخراً ثِقالا

دحــاها فلما رآها أستوت   على الماء أرسى عليها الجبالا

وكذلك قال الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت: [4]

وبث الخلق فيها إذ دحاها   فهم سكانها حتى التناد

وقال أيضاً: [5]

دحوت البلاد فسويتها   وأنت على طيها قادر

ونجد نفس الفكرة عند عدي بن زيد العبادي وكان نصرانياً يقرأ الكتب: [6]

وبسط الأرض بسطاً ثم قدّرها   تحت السماء سواء مثل ما فعلا

1 العين، 3/280

2 للفيروز أبادي، ص1282

3 سيرة ابن هشام، ص231

4 تفسير القرطبي، 15/310. واستخدم أميه في شعره ألفاظاً ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب. (جواد علي، المفصل، 8/141)

5 تفسير الرازي=مفاتيح الغيب أو التفسير، 31/46

6 البدء والتاريخ، 1/151

وأنشدت أعرابية:

«الحمد لله الذي أطاقا بنى السماء فوقنا طباقا ثم دحا الأرض فما أضاقا» [1]

ثالثاً

استقراء بقية الآيات القرآنية في ذكر الأرض يبيّــن أنها دائماً مسطحة:

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ [الغاشية : 20]،

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً [نوح : 19]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً [الزخرف : 10]

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ [الذاريات : 48]

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ ...[الرعد : 3]

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...[الحجر : 19]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً... [البقرة : 22]

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ...[الرعد : 41]

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا [الشمس : 6]

لا عجب إذن أن يُجمِع المفسرون والشرّاح والفقهاء على أن الأرض مسطحة وساكنة. ويغنينا عن إيراد قول كل مفسر هنا، ما ذكره البغدادي أنهم: «أجمعوا على وقوف الارض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الارض تهوى أبداً ولو كانت كذلك لوجب الا يلحق الحجر الذى نلقيه من ايدينا .. وأجمعوا على أن الارض متناهية الأطراف .. خلاف قول من زعم من الدهرية انه لا نهاية للارض .. وانما نهايتها من الجهة التي تلاقى الهواء من فوقها» [2] ويكفينا ما

1 لسان العرب، 14/251

2 عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص318

قاله المازندراني بأن «اعتقاد أن الأرض ساكنة، عليه جُلّ القدماء» [1] بالإضافة لشهادة القرطبي بأن «الذي عليه المسلمون وأهل الكتاب، القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها» [2].

يقول محمد دروزة في تفسيره أن وصف الأرض بالإنبساط فيه «اتساق واضح ومفهوم مع مشاهد ومدركات مختلف فئات الناس الذين يوجه إليهم الكلام، وبالتالي لعل في ذلك دلالات على ما استهدف من هذه التعابير القرآنية مما ذكرناه آنفاً وعلى أنها تنص في نطاق وصف المتشابهات التي يراد بها التقريب والتمثيل» [3].

رابعاً

كان اليونان قد أدعوا كروية الأرض منذ القرن السادس قبل الميلاد، وفي القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت كروية الأرض حقيقة لا جدال فيها على مستوى العالم القديم [4].. ومن أوائل من حاول قياس محيطها هما أرسطو ويودوكسوس .. ثم قام الفلكي القوروني (الليبي) إراتوستينس بقياسها بطريقة علمية ذكية في القرن الثاني قبل الميلاد بفارق قدره مائتي ميل فقط عن القياس المعتمد اليوم. واستمرت محاولات قياسها في اليونان ومصر والهند. مما يدل بوضوح أنها كانت حقيقة منتشرة ومعروفة. [5]

إلا أن هذا الاكتشاف لم يطرق مسامع العرب قبل اطلاعهم على معارف اليونان، ويتصادم مع ما عهدوه ومع ما أقرّه القرآن، فيعترف عضد الدين الإيجي بأن

1 مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 1، ص 17، هامش 1

2 تفسير القرطبي، 9/280

3 محمد دروزة، التفسير الحديث، 1/183

4 Spherical Earth: Wikipedia

5 History of Geodesy :Wikipedia

كروية الأرض حقيقة معروفة عند الفلاسفة لكنها تخالف القرآن. لذلك حاجّهم بقوة -كغيره من الفقهاء- في صفحات كثيرة من كتابه: المواقف [1]. ويستثنى من هذا الموقف الرافض لكروية الأرض قِلة من العلماء المتأخرين ممن قالوا بكرويتها كالغزالي وابن حزم وابن طفيل ومن أتى بعدهم كالرازي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن خرداذبة والمقدسي. إذ يذكرون صراحة أن مصدر هذه الحقيقة هي علوم وفلسفة اليونان التي احتكوا بها بشدة.

فيقول المقدسي: «وعلى هذا صنّف من ذكرنا كتبهم في هذا الباب ونحن ننقل منها وعمّن لقينا من كُبراء المنجّمين» [2]

ويقول خرداذبة: «إيضاح مسالك الأرض وممالكها وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها والمسير بين ذلك منها من مفاوزها وأقاصيها ورسوم طرقها وطسوقها على ما رسمه المتقدّمون منها فوجدت بطلميوس قد أبان الحدود وأوضح الحجّة في صفتها بلغة أعجميّة فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة» [3]

أمّا ابن حزم فقد استفاض في عرض آراء الفلاسفة اليونان في كتاب "الملل والنحل" فقد عُرف عنه اشتغاله في الفلسفة قد شرح منطق أرسطو، وقال عنه ابن تيمية أنه «ممن يعظم الفلاسفة» [4]وكذلك حال الغزالي والرازي وابن طفيل..

وقد وقع هذا الخلط والتناقض قديماً وحديثاً حول كروية الأرض أو انبساطها بسبب سوء فهم المراد من ضرب الأمثلة بالظواهر الطبيعية، التي كان يمثل لها القرآن لأغراض معنوية، وليس على الوجه الحقيقي الصريح، الذي ليس من غايات القرآن بيانه.

---

1 أنظر: عضد الدين الإيجي، المواقف، ص391 إلى 397، ومن 476 إلى 477

2 أحمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم، ص57

3 المسالك والممالك لابن خرداذبة، الباب السابع في ذكر ثغور الإسلام والأمم، ص3

4 ابن تيمية، الصفدية، 2/178

دروس الصف التاسع
كتاب التربية الإسلامية – الجزء الأول

«المسائل المادية المعملية الخاضعة للتجربة ليس للدين شأن بها فلا ندخلها في شؤوننا، فلا نقول مثلاً: الأرض ليست كروية، أو أن الأرض لا تدور. فما لهذا بهذا؛ لأن الدين ليس له شأن بها أبداً، وهذه مسائل خاضعة للتجربة وللمعمل وللبرهان وللنظرية» [1]

– الشيخ الشعراوي

1 تفسير الشعراوي، 5/3025

1 – مراحل نمو الجنين [1]

ذلك : أن العلماء كانوا يعتقدون أن الإنسان يُخْلَقُ دفعة واحدة في رحم أمه ، ثم ينمو شيئاً فشيئاً ، وبتقدم العلم اكتشف علماء الأجنَّة أن الإنسان إنما يخلق نطفةً أولا ثم يصير علقةً ثم مضغةً ،ثم عظاماً ، ثم تتكون بعدها العضلات اللحمية التي تكسو العظام ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنين]

أولاً

ليس صحيحاً «أن العلماء كانوا يعتقدون أن الإنسان يُخلَق دفعة واحدة» كما يقول المؤلف، بل افترضوا منذ قديم الزمان مراحل معيَّنة يمر بها الجنين قبل خروجه إلى الحياة، وهذه المراحل التي تذكرها الآية كانت معروفة قبل حوالي ألف عام من نزول الآية، فقد ذكرها الطبيب الإغريقي أبقراط بنفس الترتيب :

---

1 الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية، الجزء الأول، ص 49،
تكرر في الصف السابع، كتاب التربية الإسلامية، الجزء الثاني، ص 25،
وفي الصف الثامن مادة التربية الإسلامية الجزء الثاني ص 16
وفي الصف الأول الثانوي مادة الإسلامية فرع الإيمان ص 70، 90
وفي الصف الثالث الثانوي مادة القرآن ص 92،
وفي الصف الثالث الثانوي، مادة الإسلامي، الإيمان، ص 46. (حتى أن غلاف هذا الكتاب عن مراحل نمو الجنين!)

(المني المختلط – تجلط دم الأم – اللحم – العظام) [1] ومن بعده ذكرها الطبيب الإغريقي جالينوس بالترتيب التالي: (المني المختلط – الامتلاء بالدم واللحم – الهيكل والأجزاء – جنيناً كاملاً) [2] ووصف الأطباء الهنود في حوالي 500 قبل الميلاد تطور الجنين وصفاً فيه كثيراً جداً من الدقة. [3]

يقول جواد علي:

«لا أعتقد أن رجلًا مثل الحارث بن كَلَده الثقفي، أو ابنه النَّضر، وهما من العلماء بالطب، لم يرجعا إلى مؤلفات في الطب مدوّنة بلغة من اللغات الأعجمية، للحصول على علمهما في الطب، وكيف يمكن ذلك، وقد درسا في مدرسة لم تكن مدرسة عربية، هي مدرسة "جنديسابور"، عرفت واشتهرت في الطب. وقد كان عماد دراستها في الطب ما ألفه اليونان، وما نقله منها علماء السريان. ولا أعتقد أنهما كانا في جهل بمؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهما» [4]

وقد تعاطى الطب جماعة من العرب ممن خالطوا الروم والفرس وأخذوا الطب عنهم، ثم عادوا إلى الجزيرة العربية واشتهروا هناك، وهم أفراد معدودون أشهرهم الحارث بن كلدة المتوفي سنة 13 هجرية من أهل الطائف، درس الطب في أرض فارس في جنديسابور، وكان النبي يأمر من كانت به علة أن يأتيه، وتبعه ابنه النضر بن الحارث بن كلدة، وهو ابن خالة الرسول [5]

---

1 Dr. William Campbell , The Qur'an and the Bible in the light of history and science .SECTION FOUR Science and Revelation, II. No Scientific Problems (Errors?!?) in the Qur'an, Anatomy, Embryology and Genetics

2 Galen, On Semen، ترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق في القرن التاسع الميلادي، باسم (جوامع المني)

3 قصة الحضارة، 3/241

4 المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 8/ 321، 320

5 جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (بيروت: دار الحياة) 3/ 24، 149

«فصناعة الطب كانت موجودة* . عند أفراد من العرب غير مُنكرة عند جماهيرهم» كما ذكر صاعد الأندلسي[1]، حتى أن ابن القيم لاحظ هذا التطابق مع علوم اليونان واعتبره إعجازاً علمياً حينئذ.[2]

وجاء ذكرها في الإنجيل بترتيب مشابه للآية القرآنية السابقة، في النص التالي:
« اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ. أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ، وَخَثَّرْتَنِي كَالْجُبْنِ، كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي.» [3]

ثانياً

عرضَت الآية ستة مراحل للجنين باقتضابٍ شديد، وبما أن المؤلف لم يحدد المقصود منها، سنضطر لنقل ما أورده مدعو الإعجاز في مؤلفاتهم أو مواقعهم[4] من تفاصيل، حتى يتحدد المعنى ويصبح قابلًا للنقاش:

---

* وجود بعض الطب عند العرب لا يعني وجود علم؛ «فالطب ليس علماً بل ممارسة، بينما العلم المـُنتج للمعرفة الطبية هو الأحياء» كما يقول د. محمد أبطُوي. (محاضرة: مدخل لتاريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية Yuotube 1/2) ؛ وهذا رأي ابن رشد حيث يقول: «أما الطب فليس هو من العلم الطبيعي، وهو صناعة عملية تأخذ مبادئها من العلم الطبيعي، لأن العلم الطبيعي نظري، والطب عملي». ابن رشد، تهافت الفلاسفة، ماهو علم.. وما ليس بعلم. «وليس في الموارد المتوفرة لدينا ما يدل على إقدام الأطباء الجاهليين على التشريح، للاستفادة منه في زيادة علمهم بالطب.»

1 صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص47

2 يُنظر: ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود (ص252)، (ص 283 – 284)

3 سفر أيوب: 10

4 مقال: أطوار الجنين ونفخ الروح، عبدالمجيد الزنداني، موقع جامعة الإيمان؛ مقال: النطفة والعلقة والمضغة، موقع الدكتور زغلول النجار؛ مقال: صور تدعوك لتسبيح الله، موقع الكحيل للإعجاز العلمي؛ كتاب: علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، عبدالمجيد الزنداني، ومصطفى أحمد؛ كتاب: الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان، الدكتور محمد نبيل النشواتي؛ كتاب: إعجاز آيات القران في بيان خلق الإنسان، الدكتور محمد فياض، ص(41 - 107)

1 - طِينٍ:

في محاولة لإثبات الأصل الطيني للإنسان يقول د. زغلول النجار أن:

«التحليل الكيميائي لجسم الإنسان يشبه عناصر الأرض، والحقيقة أنه لا يشبهها تماماً، لتركز الكربون والفسفور في جسم الإنسان، لكن الجنين يستمدها من الأم، والأم تستمدها من الطعام، وطعامها يستمدها من تراب الأرض.» [1].

ولنا أن نسأل الدكتور زغلول: هل تشابه عناصر الإنسان مع شيء، يعني أن أصله منه؟! لو كان الأمر كذلك فالإنسان أصله حديد أو خشب أو بلاستيك أو أي مادة أخرى لأن فيه نسبة من هذه العناصر! نلاحظ طريقته في تأصيل بقية عناصر الإنسان إلى تراب الأرض، أننا لو انتهجناها فسوف نجد أن كل شيء وليس الإنسان فقط أصله من التراب!، فيمكن أن نقول على سبيل المثال عن أي كتاب أن أصله من ورق، والورق من أشجار، والأشجار تستمد غذاءها من الأرض والتراب، إذن الكتاب أصله من تراب! فهل هذا استدلال منطقي؟!

نظرية خلق الإنسان من طين لم يأتِ بها القرآن بدعاً، فقد وردت في اليهودية والمسيحية، فنجد ذكر الخلق من تراب في العهد القديم (التوراة): «الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ» [2] وعند المسيحيين: «جَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ» [3] وأرجع اليوناني اكزينوفان أصل كل شيء إلى الماء والتراب [4] واعتقد المصريون القدماء أن الإله خنوم يخلق البشر من طمي النيل على عجلة الفخار، وآمن السومريين والبابليين بالخلق من التراب كذلك، وفي أفريقيا والفلبين وعند

1 برنامج التفسير العلمي، زغلول النجار، ((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين))، (يوتيوب)

2 كورنثوس 47:15

3 سفر التكوين 2: 7

4 Xenophanes of Colophon: Fragments : fragment 29

الهنود الحمر[1] وبالطبع العرب، فقال الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت: [2]

كيفَ الجحودُ، وإنّما خُلِق الفتى ... مِنْ طِينِ صَلصالٍ لَه فَخّارِ

2 - نُّطْفَةَ:

النطفة في العربية هي: القليل من الماء[3]. وفي الحديث «قال نبي الله ﷺ: "هل من وضوء؟" فجاء رجل بإداوة له فيها نطفة، فأفرغها في قدح».[4] وفي القرآن نجد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، نجد فيه النطفة موصوفة بالمشج، والمشج لغةً: هو كل لونين اختلطا[5]. فالنطفة إذن هي (خليط ماء الرجل وماء المرأة)، وليس (الحيوانات المنوية) لأن وصف المشج أو الخلط لا ينطبق على الحيوانات المنوية.

وفي ذكر النطفة قبل القرآن، قال السموأل وهو شاعر جاهلي يهودي: [6]

نُطْفَــةً ما مُنِيتُ يَــوْمَ مُنِيتُ ... أُمِرَتْ أَمْرَها وَفــيْهَا وُبِيتُ

3 - عَلَقَةً:

العلق لغةً هو الدم الغليظ[7]، وبهذا المعنى إضافة لمعنى النطفة المذكور سابقاً، يكون معنى (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) أي حوّلنا (خليط ماء الرجل والأنثى)

---

1 فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض، دار الكلمة، سوريا، ص47، 48

2 أبي زيد القُرَشِيّ، جمهرة أشعار العرب، اللفظ المختلف ومجاز المعاني، ص24

3 لسان العرب، 9/335

4 مستخرج أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 4/ 200

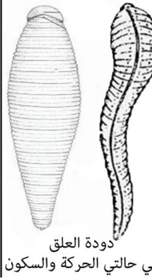
5 لسان العرب، 2/ 368

6 الأصمعيات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط 7، ص85

7 لسان العرب - 10/267

إلى (دم غليظ)، وهو استنتاج يؤكده ابن كثير[1]، فقد اعتقد عرب الجاهلية أن «اللّحم ليس إلا دم استحال كما يستحيل اللّحم شحما» [2] وهو بالطبع اعتقاد خاطئ علمياً، فالجنين لا يكون في أي مرحلة من مراحله عبارة عن (دم غليظ) أو دم (بمعنى كريات أو خلايا دم حمراء)، بل أن الدم في الجنين لا يتكون قبل الأسبوع الثالث[3].

يدعي أهل الإعجاز أن الجنين سمي بالعلقة لأنه يتعلق بجدار الرحم، والحقيقة أن لا مبرر لتخصيص صفة العلقة بمرحلة معيَّنة. فالجنين يبقى معلقاً تسعة أشهر برحم أمه.



والجدير بالذكر أنه غالباً ما توضع صورة دودة العلق، وبجانبها صورة جانبية ومجتزأة للجنين، بحذف انتقائي غير مبرر لأجزاء مهمة لا تتجزأ منه (كيس المح والحبل السري)، إضافة لانتقاء صورة الدودة وهي في حالة الحركة بحيث يبدو رأسها متضخماً ومشابهاً لبروز الدماغ الأمامي، لإيهام القارئ بتشابه الجنين بدودة العلق.

4 - مُضْغَةً:

في لسان العرب كما في أغلب المعاجم: «المضغة من اللحم هي قدر ما يلقي

---

1 تفسير ابن كثير، 5/466

2 الجاحظ، الحيوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ) 4/ 308

3 langman's medical embryology – Eleventh edition – p60

الإنسان في فيه» [1] واستكمالًا للاستنتاج السابق وبحسب الآيات، نجد معنى قوله تعالى ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي فحولنا (الدم الغليظ) إلى (قطعة لحم) بإجماع المفسرين[2]، لكنه معنىً خاطئ بإجماع العلماء اليوم، فلا يكون الجنين في أي مرحلة (دم غليظ) أو (قطعة لحم). [3]

5 - عِظَاماً:

يقول ابن كثير في تفسير هذا الجزء من الآية: «فخلقنا المضغة عظاما يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها» [4] وهذا شرح خاطئ علمياً، ليس لأن العظام تبدأ كغضاريف ثم تتحول إلى عظام، فهذا التفصيل سنتجاوزه ونوافق على الخلط بينهما لأن المعاجم لا تفرق بين العظم والغضروف. بل لأن العظام تنمو بالتوازي والتداخل بين أعضاء مختلفة وفي مراحل مختلفة وعلى مدى طويل. ولا يمكن اختزالها بهذه البساطة، ومدعو الإعجاز العلمي يعلمون هذه الحقيقية لكنهم التفّوا عليها بالقول أن (المقصود هو الخلايا الأولية للعظام التي تنشأ قبل العضلات) وهذا صحيح، لكن على مستوى الخلايا الأولية وليس التكوين النهائي للعظام. والانتقال هنا من مستوى خلايا كاملة، إلى مستوى خلايا أولية هو خطأ منهجي يخالف تأويلهم لبقية الآية، حيث كانوا قد فسروا النطفة بأنها الحيوان المنوي المكتمل وليس في طوره الأولي!

---

1 لسان العرب ، 8/451

2 تفسير ابن كثير، 5/395

3 Mayoclinic.org ,Fetal development: The 1st trimester

4 تفسير ابن كثير، 5/466

6 - لَحْماً:

اللحم ليس مصطلحاً علمياً اليوم، فهو يستخدم في الحياة اليومية بمعانٍ كثيرة، فلو أن المقصود باللحم هنا أي نسيج في الجسم، فالأنسجة موجودة في الجنين منذ لحظاته الأولى، وليس في مرحلة متأخرة كما في الآية. ولو المقصود باللحم هو العضلات كما قال المؤلف، وكما سماها أبقراط [1]، فعضلة القلب تبدأ بالنبض في الأسبوع السادس. [2] بينما تتكون الغضاريف في الأسبوع الثامن [3]. أي أن العضلات تبدأ بالظهور قبل العظام بأكثر من أسبوع وليس بعدها كما تقول الآية وكما كان شائعاً في تلك الفترة، حتى أن إسحاق بن حنين العبادي وهو طبيب مسيحي عربي اشتهر أيام الخلافة العباسية، وتعلم الطب في مدرسة جنديسابور الفارسية، يذكر في كتاباته أن العظم ينشأ ثم يكسوه اللحم، مما يُعطي مؤشراً إلى أن أطباء العالم كلهم قد اعتقدوا بنشوء العظام أولاً.

مما سبق، يتضح أن القرآن الكريم تناول مراحل الجنين في سياق بيان عظمة الله وحسن خلقه، واستخدم لذلك الغرض الوصف الشائع لمراحل الجنين كما يعرفها العرب، فذكر الخلق من الطين لأنه كان جزء من نظرية الخلق ليس عند العرب وحدهم، بل وحول العالم القديم بأسره، وعبّر عن دور الذكر والأنثى المتساوي في مزيج النُطف من كليهما؛ كونه أمر بديهي ومباشر ومتوقع، ووصَف الجنين بأنه قطعة لحم؛ لأن هذا هو المُشاهد فعلاً في حوادث سَقط الجنين. وتحدّث عن كساء العظم باللحم كونه معتقد شائع حتى بين الأطباء في ذاك العصر واستمر إلى فترة طويلة.

فالآيات كلها جاءت بقصد العبرة والعظة وخاطبت الناس على قدر

1 تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، عيسى إسكندر المعلوف، مؤسسة هنداوي، ص23

2 Mayoclinic.org – Fetal development: The 1st trimester

3 المرجع السابق

عقولهم ولم تأتِ لتقدم وصفاً علمياً وطبياً لمراحل تطور الجنين. ولا ينبغي توقع ذلك منها أو محاكمتها على تفاصيل علمية دقيقة ليس القرآن مجال تقصيها، ولا الرسول في موضع بيانها. (للمزيد حول علاقة الدين بالطب يُنظر كتاب الطب النبوي بين الفقيه والطبيب[1])

=وفي هذا المعنى قال المازري «وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يُبعث [الرسول] لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض»[2] وقال ابن خلدون:

«وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصحّ منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي... وكان عند العرب من هذا الطب كثير.. والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عادياً للعرب ... فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه.»[3]

وهو شبيه بكلام الشاطبي حيث قال: «علم الطب قد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجاريب الأميين، غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون، وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة»[4]

---

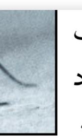
1 الطب النبوي بين الفقيه والطبيب، عمر الحمّادي، دار مدارك 2014

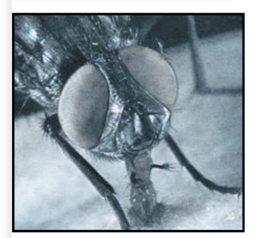
2 فتح الباري لابن حجر، 10/ 227

3 مقدمة ابن خلدون، ص651 ؛ وللتوسع يُنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 389/8.

4 الشاطبي، الموافقات، 2/120

2 – معجزة الذباب[1]





اكتشف الباحثون في علم الحشرات أن الذباب مزود بغدد لعابية طويلة وغنية جداً باللعاب، وبمجرد أن يأخذ الذباب شيئاً من الطعام سرعان ما يفرز عليه كمية كبيرة من اللعاب تحوله فوراً إلى مادة أخرى. فإذا أخذ الذباب منا شيئاً وأردنا أن نسترد منه ذلك الشيء الذي سلبنا فإننا لا نقدر على ذلك لأن ما أخذه الذباب يتحول إلى شيء آخر.

وهذه الحقيقة ذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

أولاً

الذباب من طائفة حشرات لها نفس ميزة سرعة الهضم، عدا ذلك لا ميزة للهضم عند الذباب عن غيره من الحشرات أو الحيوانات الأخرى. فجميع الحيوانات تعمل على تحويل جزيئات الغذاء المعقدة والكبيرة إلى جزيئات أصغر قابلة للامتصاص في جهازها الهضمي. وهذه الحقيقة يلاحظها الإنسان في جميع الحيوانات وحتى في نفسه حين يمزق الطعام ويمضغه في فمه، وبالطبع لن يستطيع إعادته إلى حالته السابقة.

---

1 الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية، ص 52، 53، تكرر في الصف الثالث الثانوي مادة القرآن، ص 92، 93

ثانياً

من ناحية أخرى، سبب نزول الآية لا علاقة له بشرح آلية الهضم عند الذباب أو القدرة على استرجاع الطعام منها بعد هضمه! وإنما نزلت الآيات لأن الكفار «كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فيجف، فيأتي الذباب فيختلسه، فلا يقدرون أن يستردوه من الذباب ويستنقذوه منه» [1] فعاتبهم الله على عبادتهم للأصنام التي لا تنفعهم ولا تضرهم ولا تدفع الضر عن نفسها من هذا الذباب الضعيف. وضرب لهم مثلاً بهذا الذباب أنه لو حاولوا استرداد الزعفران الذي أكله، لا يستطيعون هم ولا أصنامهم. فضعف الطالب والمطلوب.

لكن أهل الإعجاز انتزعوا الآية من سياقها وسبب نزولها وأولوها بطريقة متكلفة إلى وصف مضلل علمياً، وهكذا يتحول ضرب مثال بحشرة في القرآن، إلى ما يشبه حصة في علم الحشرات على يد أهل الإعجاز العلمي!

1 أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، التفسير الوسيط، 3/280

3 – تناقص الأكسجين في طبقات الجو العليا [1]

جاء علم الفضاء في العصر الحديث ليثبت أن الإنسان كلما صعد في السماء واخترق طبقات الجو العليا يشعر بضيق يجده في صدره وفي جهازه التنفسي، ويزداد شِدةً كلما صعد في السماء حتى يصل إلى درجة الاختناق، وذلك بسبب تناقص الهواء (الأكسجين) عن الكمية اللازمة للإنسان .

وهذه الحقيقة ذكرها القرآن قبل أن يعرفها البشر جميعاً بما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، قال تعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الانعام]

أولاً

«تقول الآية: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بالتشديد، كأنه يتكلّف الصعود بمشقة شديدة، ولم يقل: يصعد» [2] وهذا ما فهمه جميع المفسرين من الآية. فيقول الصابوني: «أي يجعل صدره ضيّقاً شديد الضيق لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان. قال عطاء: ليس للخير فيه منفذ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السماء﴾ أي كأنما يحاول الصعود إلى السماء ويزاول أمراً غير ممكن، قال ابن جرير: « وهذا مثلٌ ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه،

1 الصف التاسع – كتاب التربية الإسلامية – صفحة 54، تكرر في الصف الأول الثانوي مادة الإسلامية، الإيمان، ص88

2 شرح العقيدة الواسطية للعثيمين، ص220

مثلُ امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس في وسعه.» [1]

وفي شرح لفظ التصعد:

«قال أبو عبيد في قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح، أي ما تكاءدتني، وما بلغت مني وما جهدتني، وأصله من الصعود، وهي العقبة الشاقة، يُقال: تصعده الأمر، إذا شق عليه وصعب.» [2]

فالآية تصف حال الكافر، ولا تتحدث عن حقيقة يجهلها البشر بما يزيد عن أربعة عشر قرناً، بل لم يكن البشر يجهلون هذه الحقيقة، ولم تتحدث عنها الآية أصلاً.

ثانياً

كل البشر القدماء كانوا يعرفون ويعانون عاقبة الصعود إلى "قمَّة جبل" [3] من ضيق التنفس والصداع والتعب وآلام المعدة واضطراب النوم ونزيف الأنف وتسارع نبضات القلب. [4] ولذلك لم يبنِ الإنسان القديم كهوفه على الجبال ولا على ارتفاعات عاليّة. ومن السهل أن يتصوَّروا أنّ شعورهم بالاختناق سيكون أشد لو هم تجاوزوا في صعودهم "قمة الجبل".

1 محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، 1/36

2 تاج العروس، 8/ 279 - 280

3 wikipedia - High-altitude adaptation in humans
wikipedia -Effects of high altitude on humans

4 A. A. R. Thompson. "Altitude Sickness". Apex. Retrieved 8 May 2007.

4 – الزوجية في النبات[1]

التزاوج في النبات

ولم يكن أحد يعلم من قبل عن وجود هذا التزاوج في النبات ، حتى إذا تقدم علم النبات كشف عن هذه الحقيقة التي هي في جميع النبات ، أليس ذلك هو ما قاله القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ؟ من أخبر به محمداً ﷺ ؟ إنه الله تعالى القائل :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ٣٦ ﴾ [يس : ٣٦]

اولاً

الزَوْج في اللغة هو كل واحد معه آخر من جنسه[2] وتأتي بمعنى الشبيه والقرين، كقوله تعالى ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.[3] وقال ابن عاشور: يطلق الزوج على معنى الصنف المتميز بخواصه من نوع الموجودات تشبيهاً له بصنف الذكر وصنف الأنثى.[4] لذلك فسر السعدي ﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الأصناف كلها[5] وكذلك البغوي[6] والقرطبي[7] وابن عاشور. فمعنى الأزواج في الآية ليس الذكر والأنثى.

1 الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية، ص 55،
تكرر في الصف الأول الثانوي مادة الإسلامية، الإيمان، ص 89

2 المعجم الوسيط، 1/405

3 معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/1006

4 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 23/15

5 تفسير السعدي، 1/695

6 تفسير البغوي، 4/13

7 تفسير القرطبي، 15/26

ثانياً

التزاوج لا يحصل «في جميع النبات «كما يقول المؤلف، بل في بعضه، وهي حقيقة يتعلمها طالب المدرسة في الصف الثالث الثانوي بالتفصيل، فيتعلم عن التكاثر الخضري والتكاثر بالتبرعم والتطعيم والتجرثم والتبوّغ والتقسيم والفسيلة وغيرها. [1]

ثالثاً

جميع الشعوب احترفت الزراعة وعرفت التلقيح أو التأبير، فقد مارسه البابليون والأشوريون ببراعة منذ 870 عام قبل الميلاد [2] وتشهد على ذلك آثارهم ورسوماتهم. وفي اليونان ألف «ثاوفرسطس» وهو أحد تلاميذ أرسطو (من القرن الثالث ق.م) كتابين في النبات، أحدهما "تاريخ النبات" جمع فيه معارف اليونان في هذا الفن، وذكر طرق توالد النبات وتفريخه، وعرف درجات التفريخ وتأبير النخل، بنقل غُبار التلقيح من النخلة المذكرة إلى النخلة المؤنثة. [3] ويقول الأنثروبولوجي جيمس فريزر إن فكرة كون النباتات والأشجار كائنات حية جعلت الإنسان يتعامل معها على أنها ذكر وأنثى يتزاوجان بالفعل وليس بالمعنى البلاغي، فأعطوا اسماً للنبات الأنثى واسماً للذكر، حتى أن الهندوس يحتفلون بتزويج الأشجار. [4]

والعرب مارسوا فنون الزراعة باحترافية، فقد استحدث يهود يثرب طرقاً متقدمة للري ونُظم تعهد التربة وزرعوا النخيل والفاكهة والأرز [5]، ومارس

1 كتاب الأحياء، الصف الثالث الثانوي، الوحدة الثالثة

2 The Assyrian Sacred Tree: A History of Interpretations–Mariana Giovino– p73

3 عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت،1970، ص61

4 جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص159، 187

5 محمد واليهود، نظرة جديدة، د. بركات أحمد، ترجمة محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص61

العرب التلقيح أو التأبير أيضاً كما يدل بوضوح حديث تأبير النخل، ونصّه: أَنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقومٍ يُلَقِّحون. فقال "لو لم تفعلوا لصلَح" قال فخرج شِيصاً. فمرَّ بهم فقال "ما لنخلِكم؟" قالوا: قلتَ كذا وكذا. قال "أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم" [1].

فكان «أهل النخيل من العرب ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها» [2] والتأبير أو التلقيح في حقيقته هو نقل حبوب اللقاح التي تحتوي على خلية مذكرة إلى خلية مؤنثة لتكوين بُييضة مخصبة أو ثمار. وكما يصرح النبي في هذا الحديث بنفسه أن ذلك من "أمر دنياكم" وليس للنبي أو للقرآن فيه علاقة.

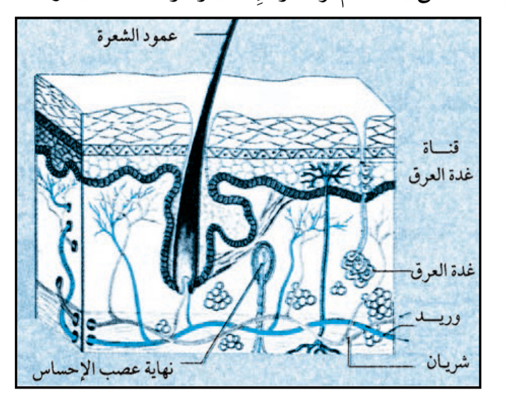
---

1 صحيح مسلم: الحديث رقم 2362

2 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الباب 24، الجزء1، ص176

5 - الجلد مركز الإحساس [1]

أشار القرآن الكريم إلى أن مركز الإحساس يكون بالجلد بدرجة كبيرة، وهذه الحقيقة مخالفة لما كان مُعْتَقَداً من أن الإحساس من صفات الجسد بكل أجزائه ، وأنه متساوٍ في درجة إحساسه بالأشياء. وقد أثبت علم التشريح الحديث أن مركز الإحساس بالألم وغيره إنما يتركز بالجلد بدرجة كبيرة ، حتى أن الإنسان لا يشعر بألم وخز الحقنة (الإبرة) إذا أدخلت في جسمه إلا عند دخولها في منطقة الجلد ، وهذا يؤكد أن العلم الصحيح لا يتناقض مع القرآن الكريم .



قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء]

أولاً

الجلد بذاته ليس مركز الإحساس، ولكن الخلايا العصبية المنتشرة فيه والموصولة بالجهاز العصبي هي التي تؤدي هذه الوظيفة.[2] وإذا أصيب الجهاز العصبي

1 الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية،ص 55، 56

2 Weddell,G., and Miller, S. (1962) Cutaneous Sensibility. Annual Reviews 24:199-222

بخللٍ ما، يمكن أن يفقد الإنسان الإحساس رغم وجود الجلد.

ثانياً

لاحظ الصينيون العلاقة بين الجلد والألم منذ حوالي 3000 عام قبل الميلاد عند ممارستهم للعلاج بالإبر الصينية [1] حيث يغرسونها في أماكن معينة في الجلد بطريقة لا تشعر المريض بألم شديد [2] وكذلك فعل المصريون القدماء باستخدام منقار طائر أبو منجل [3]. والعرب أيضاً لابد أنهم لاحظوا علاقة الجلد بالألم، بطبيعة ممارستهم للعلاج بالكيّ، أو عند ملاحظتهم أن مواشيهم تفقد الإحساس بعد وسمها بالنار، «ووَسمت العرب الخيل وجميع أصناف النّعم في الإسلام، على مثل صنيعها في الجاهلية» [4]. حتى أن ابن كثير يورد في تفسيره وصف أهل النار أنه «مكتوب في الكتاب الأول ... فإذا أكلت النار جلودهم بُدلوا جلودا غيرها)» [5]. فعلاقة الجلد بالإحساس معروفة عند كثير من الشعوب من قبل الإسلام.

ثالثاً

ليس "الجلد" فقط هو القادر على الإحساس، ويمكن لأي إنسان ملاحظة ذلك عند إحساسه بآلام المغص أو أي ألم في الأحشاء. فللألم عدة أنواع غير الألم الجسدي Somatic. كأن يتضرر النخاع الشوكي أو الأعصاب الطرفية مباشرة، عند ضرب مفاصل العظام بجسم صلب مثلاً. ويسمى Neuropathic pain

1 Aung & Chen, 2007, p. 113–114

2 Steven K. H. Aung، William Pai-Dei Chen Clinical Introduction to Medical Acupuncture – p113

3 Byong-Hyon Han – Therapy of Social Medicine – Springer- p186

4 الحيوان، للجلحظ، 1/ 105

5 تفسير ابن كثير، 2/338

. أو الآلام في الأحشاء وتسمى Visceral pain . أو أن يخطئ الدماغ في تحديد مصدر الألم كما يحدث لمريض الزائدة الدودية، ويسمى الألم في هذه الحالة Reffered Pain.[1]

1 أنظر: Wikipedia: Pain

دروس الصف الأول الثانوي
كتاب التربية الإسلامية – فرع الإيمان

«إني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها... إن الإيمان الذي ينتظر كلمة العلم البشري المتقلبة ليثبت لهو إيمان يحتاج إلى إعادة النظر فيه! إن القرآن هو الأصل والنظريات العلمية توافقه أو تخالفه سواء. أما الحقائق العلمية التجريبية فمجالها غير مجال القرآن. وقد تركها القرآن للعقل البشري يعمل فيها بكامل حريته، ويصل إلى النتائج التي يصل إليها بتجارب».[1]

– سيد قطب

1 سيد قطب، في ظلال القرآن،181/1. 1858/4.

2 – الزوجية في كل شيء[1]

ب – ظاهرة الزوجية:

أكد العلم الحديث أن ظاهرة الزوجية، لا تقتصر على الذكورة والأنوثة في الإنسان والحيوان وبعض النبات، بل هي ظاهرة كونية تشمل الإنسان، والحيوان، والنبات والجماد، والقرآن أشار إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) ﴾ [يس]

وقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) ﴾ [الذاريات]

أولاً

لا يمكن علميّاً حصر الكائنات بزوجين فقط لكل نوع منها، فالنحل على سبيل المثال ليسو أزواجاً فقط كنوع، فهناك الملكة والذكور والشغّالات.. وكذلك اغلب الكائنات ذات أنواع كثيرة جدّاً من بري واستوائي وقطبي....الخ، هذا عدا طفرات التخنيث والمنغوليّة.

ثانياً

بعض الكائنات ليس فيها ذكر ولا أنثى وتتكاثر لا جنسياً كالبكتيريا والفيروسات وكثير من الطفيليات، ويوجد نوع من النمل يعيش في أمريكا اللاتينية يدعى Mycocepurus smithii جميع أفراده من الإناث فقط ويتكاثر لا جنسياً[2]، وكذلك الحال عند نوع من الزواحف يسمى -Cnemi

---

1 الصف التاسع، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان،ص 89

2 Females get along fine without males – in the world of tropical ants – Alastair Jamieson

dophorus[1]. وأيضاً القرش المطرقة Bonnethead shark وخيار البحر Sea Cucumber، وكائنات أخرى مثل Branta lucopsis، Komodo dragon،Marmorkrebs ، وكذلك أغلب الرخويّات، بالإضافة إلى الكائنات عديمة الجنس كالطحالب وجميع أنواع الدرنيات...

ثالثاً

الزوجية النوعية ليست قاعدة صارمة في الكائنات الحية فضلاً عن كونها «ظاهرة كونية» فلسفية كما يدعي الفيلسوف المصري "هرمس" الذي اعتبرها المبدأ السابع في السابعة من مبادئه السبعة. فبعيداً عن الزوجية النوعية، في الكيمياء لدينا المحلول المحايد ليس حمضي ولا قاعدي، وفي الهندسة لدينا الدائرة عديمة الزوايا والأضلاع، وفي الأحياء نجد المعدة والكبد والطحال والبنكرياس أعضاء مفردة لا أزواج لها، وفي الفلك نجد النجم والكوكب والمذنب والمجرة مفردة، وفي الجيولوجيا نرى الحجر والجبل والنهر أفراداً كذلك. وهذا كافٍ لبيان عدم وجود الزوجية في العديد من الأشياء..

1 Comparisons of physiological performance in sexual and asexualwhiptail lizards (genus Cnemidophorus): implications for the role of heterozygosity

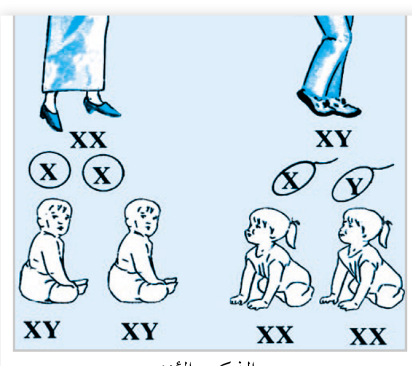
دروس الصف الثاني الثانوي
كتاب التربية الإسلامية - فرع الإيمان

«لا حاجة بالقرآن الكريم إلى مثل هذا الادعاء، لأنه كتاب عقيدة يُخاطب الضمير... فلا يُطلَب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلوم كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر ولا يطلب من معتنقيها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم كما تعرض عليهم في معامل التجربة والدراسة» [1]

- عباس محمود العقاد

1 عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الرابع: القرآن والإنسان، ص211، 25

1 – الذكر يحدد جنس الجنين [1]



الذكر والأنثى

كان الناس يعتقدون أن السبب في التذكير، يعود للرجل، وأن السبب في التأنيث يعود للمرأه، ثم كشف العلم الحديث أن السبب في الذكورة والأنوثة، هو ماء الرجل الذي يحمل عنصري الذكورة والأنوثة وأنه لاعلاقة للمرأة بتحديد جنس المولد؛ فإذا كان الحيوان المنوي (الذي يلقح البويضة) يحمل خصائص الذكورة كان المولود ذكراً بإذن الله وإذا كان الحيوان يحمل خصائص الأنوثة كان مهيئاً ليكون أنثى بإذن الله وقد أشارا القرآن الكريم إلى أن الذكورة والأنوثة تتحدد بماء الرجل الذي يمنى ويكون من نطف كثيرة (هي الحيوانات المنوية) قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم] والنطفة التي تمنى تكون في ماء الرجل كما تذكر الآية، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة]

وهذه الآية تحدد أن نوع الذكورة والأنوثة، ويتحدد في هذه النطفة التي تخرج من الرجل.

أولاً

لم يوضح المؤلف من هم الناس الذين «كانوا يعتقدون أن السبب في التذكير يعود للذكر، وأن السبب في التأنيث يعود للمرأة»، «فقد اعتقد الطبيبان الهنديان (أتريا) و(ايزمان) في حوالي 500 ق. م إلى أن نطفة الوالد مستقلة وكانوا يحبذون فحص الرجال للتحقق من توافر عناصر الرجولة فيهم قبل إقدامهم

---

1 الصف الثاني الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص 38

على الزواج». [1] واعتقد أرسطو (350 ق.ب) أن «الأنثى هي العنصر المنفعل، أما الذكر فهو العنصر النشيط الفعال» [2]. «وتمسكت النظريات الأوروبية لقرون عدة على الرغم من تقدمها التقني بالفكرة القائلة بأن المني هو العامل الوحيد الذي يتحكم في التناسل، وأن الأجنة تخلق فيه مسبقاً. ولا يعدو الرحم كونه متلقياً ملائماً لنمو الأجنة» [3]

ويروى في الجاهلية أن «امرأة أبي حمزة الضبي هجرها زوجها حين ولدت بنتاً، واتهمها بأنها مئناث لا تنجب إلا الإناث. ومر يوماً بخبائها فإذا هي ترقّص صغيرتها وتقول لها: [4]

ما لأبي حمـزة لا يأتـينا — يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلـد البنينا — تالله مـا ذاك في أيديـنا

وإنما نعطي الذي أعطينا — ونحن كالأرض لـزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

فالمرأة تُكنّي إلى أنها ليست هي المسؤولة عن تحديد جنس الجنين وإنما هي حاضنة للجنين الذي يضعه زوجها، وقد تَحدَّدَ جنسه. فالاعتقاد إذن كان شائعاً بين العرب أن الرجل هو من يحدد جنس الجنين ولا دور للمرأة في ذلك.

ثانياً

لم يكتفِ أهل الإعجاز بتأويل الآيات بحيث لا تخالف مستجدات العلم فحسب، بل بلغ إسرافهم التأويلي حد تحويلها إلى إعجازٍ علميٍ مقصود!

---

1 قصة الحضارة، 3/241

2 قصة الحضارة، 7/500

3 فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، ص25

4 شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص193

فتعريف المؤلف للنطفة بأنها «هي الحيوانات المنوية»، مجرد تأويل بلا قرينة، يخالف جميع المعاجم التي تقول أن النطفة هي: القليل من الماء [1]. ويخالف آية في سورة الإنسان تقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، والمشج لغةً: هو كل لونين اختلطا كما سبق [2]. ويخالف تعريف النطفة في الأحاديث. وفي مسند أحمد:

«مَرّ يهوديّ برسول الله ﷺ وهو يحدِّث أصحابه ... فقال: يا محمد، ممَّ يُخْلَقُ الإنسان؟، قال له: "يا يهودي، من كلّ يُخلَق، من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة، منها العظم والعَصَب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة، منها اللحم والدم"، فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَك.» [3]

مما سبق نفهم أن النطفة في المعاجم والقرآن والأحاديث ما هي إلا (خليط ماء الرجل وماء المرأة)، وليست (الحيوانات المنوية). فالآيات تقول ﴿نطفة﴾ وليس «نُطف كثيرة» كما قال المؤلف، لكي يؤولها إلى «حيوانات منوية»!

لأن أوصاف المشج والغلظة والرقة لا تنطبق على الحيوانات المنوية، بالإضافة لذكر الحديث نطفة المرأة أيضاً، والمرأة بالطبع لا تنتج حيوانات منوية. إنما ماء الأنثى إفرازات لتسهيل الجماع [4]، وماء الرجل مجرد ناقل للحيوانات المنوية [5]. حتى أن بعض الرجال ينتجون ماءً دون إنجاب، بسبب قلة عدد الحيوانات المنوية.

1 لسان العرب، 9/ 335

2 المرجع السابق، 2/ 368

3 مسند أحمد، 4/258؛ وقول اليهودي «هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَك» يؤكد أنه اعتقاد شائع من قبل الإسلام.

4 DC Dutta(2014). DC Dutta’s Textbook of Gynecology.JP Medical Ltd. pp.2–7

5 Semen – Biochemistry – by: The Editors of Encyclopædia Britannica

2 – تعاقب الليل والنهار [1]

فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل . والقرآن الكريم قد أشار إلى هذه

تعاقب الليل والنهار

الحقيقة العلمية، قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران]

وإثبات سلخ النهار من الليل حقيقة علمية في غاية الدقة واحتاج البشر سنوات طوالاً حتى توصلوا إليها ولكن القرآن قد أشار إلي ذلك في وقت كانت البشرية لاتعلم من هذه المعلومة شيئا وقد علمها رسول الله قبل ذلك مما يدل على أن هذا الكتاب من عند الله الخالق للكون والمبدع لحركته فسبحانه وتعالى الخبير لكل شئ فيحدث من عملية السلخ تعاقب الليل والنهار بحيث ينبثق ضوء النهار عن ظلمة الليل فإذا انسحب النهار من أي جزء من الأرض حل محله الظلام وهو ما أكدته أية أخرى قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان]

وفى إشارة إلى حقيقة علمية أخرى متعلقة بتعاقب الليل والنهار جاء فى قوله تعالى ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس]

وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر]

وقد أوضحت هذه الآيات أن النهار لا يسبق الليل وأن الليل لا يسبق النهار وأنهما يجريا معاً في تتابع على شكل دائري حتى يحدث الليل والنهار وهذا يحدث نتيجة دوران الأرض حول محورها خلال أربع وعشرين ساعة على وجه التقريب

جميع الآيات السابقة تصف ظواهراً طبيعية بشكل بسيط جداً وواضح لأي إنسان على سطح الأرض، إلا أن المؤلف بذل جهداً بالغاً وتحويراً كبيراً في معاني الآيات لكي يدعي إعجازاً علمياً، ومع هذا لم يوفق من عدة وجوه:

1 الصف الثاني الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص39

تكرر في الصف السابع، الفصل الثاني، كتاب العلوم، ص74، 75

أولاً

قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ يتحدث عن تعاقب الليل والنهار كما يبدو للجميع، وهذه ما فهمه جميع المفسرين فيقول ابن كثير: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أي نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل; ولهذا قال: فإذا هم مظلمون» [1] ولا علاقة لها بدوران الأرض، كما لا يوجد في علم الفلك ما يسمى (سلخ النهار من الليل) ولا معنىً قريب منه. أمّا في المعاجم فلا نجد للسلخ معنىً غير كشط الجلد[2].

ثانياً

النهار والليل ليسا كيانين ماديين حتى «ينسحب النهار» «ويحل محله الظلام»، فالنهار مجرد حالة بالنسبة لمن هو على الجزء المُضاء من الأرض، لحظة إضاءته، والظلام هو مفهوم اعتباري لغياب النور، وليس حالة موجودة أصلاً!

ثالثاً

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ هذه الآيات من العموميات الظاهرة للعين المجردة والتي يدركها الإنسان البسيط منذ القدم، ولا تحتاج لأن يؤكـّد عليها الدين أو العلم. لكن المؤلف ينطلق من افتراض جهل الشعوب القديمة بالظواهر الطبيعية وتفسيرها، بينما قد بلغت معارفهم العلمية من الدقة ما يدعو للدهشة! فقد تطور علم الفلك مبكراً عند الأشوريين والبابليين وعند المايا، لارتباطه بالزراعة والتجارة والطقوس الدينية. [3] «وقد استطاع البابليون منذ عام 2000 ق.م

1 تفسير ابن كثير، 6/576

2 لسان العرب، 3/24

3 Vgl. James Cornell: Die ersten Astronomen Birkhäuser: Basel u. a. 1983

أن يسجلوا بدقة شروق الزهرة وغروبها بالنسبة إلى الشمس، وحددوا مواضع عدة نجوم» [1] «والكلدان رصدوا الكواكب وعيّنوا مناطق البروج ومنازل القمر والشمس وحسبوا الخسوق والكسوف بآلات فلكية منذ القديم، وأخذ عنهم المصريون واليونان والهنود الشيء الكثير» [2] وابتكر الإنسان القديم أجهزة لتحديد مواقع النجوم مثل ابرخس اليوناني وبطليموس المصري خلال الألفية قبل الميلاد، واستخدمها العرب فيما بعد وعدلوها.[3] حتى أن ابن حزم بعد اطلاعه على العلوم والفلسفة اليونانية، بوّب باباً كاملاً بعنوان (مطلب بيان كروية الأرض).[4]

وفي الشعر الجاهلي نجد أمية بن أبي الصلت يتحدث عن الليل والنهار وحسابهما المقدور والشمس وشعاعها المنشور قائلاً:

خلق الليل والنهار فكل — مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم — بمهاة شعاعها منشور

وقال شاعر جاهلي آخر:

منع البقاء تقلب الشمس — وطلوعها من حيث لا تمسي

وطلوعها بيضاء صافية — وغروبها صفراء كالورس [5]

وقد «كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى

1 قصة الحضارة، 2/250

2 يحيى شامي، تاريخ التنجيم عند العرب، ص90

3 Teil 3 (Griechen), 12 (Araber) und S. 464ff. (Brahe) in E. Zinner: Die Geschichte der Sternkunde. Springer: Berlin 1931

4 ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطلب بيان كروية الأرض.

5 التيجان في ملوك حمير (ط1347،1 هـ) ص 101،449

معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم.» [1]

رابعاً

بشأن قوله تعالى ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، علمياً يتوقع العلماء أن الشمس ستدرك القمر بعد حوالي ٧,٦ مليار سنة. في مرحلة تحوّل الشمس إلى Red giant (عملاق أحمر)، يقول العلماء أن الشمس بسبب انصهار الهيليوم وتغطي مداري كوكب الأرض والقمر. [2] لكن أهل الإعجاز لم يعدموا إعجازاً علمياً على آية حال، فاعتبروا هذا الجمع بين الشمس والقمر تصديقاً للآية ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة : 9]، رغم أن الآية الثانية هذه تتحدث أن أهوال القيامة التي يُفترض أنها من الغيبيات ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾، بينما هذا التفسير يجعل موعدها محدد علمياً!

خامساً

قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾، النهار والليل ليسا كيانين ماديين كما بيّنا، فلا معنى علمي لأن يتكور أحدهما على الآخر. ولكن معنى الآية كما فهمه المفسرون أن:

«سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً... هذا معنى ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وغيرهم». [3]

1 محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (دار الكتب العلمية، 1994) 2/ 222

2 Space.com – Earth’s Moon Destined to Disintegrate

3 تفسير ابن كثير، 7/86

3 – الرياح وتلقيح السحاب [1]

عرف علماء الأرصاد أن الرياح تثير السحب المتكونة من بخار الماء المتصاعد من البحار، وعرفوا أن الرياح تحمل معهاأجزاء صغيرة من ذرات التراب والغبار، فَتُلَقِّحُ بهذا الغبار السحب المتكونة من بخار الماء حيث يتجمع بخار الماء حول هذه الجزيئات الدقيقة التي ألقيت فيه ، فتتكون أغلفة مائية تنمو وتنمو، مكونة قطرات ثقيلة وقد توصل العلماء إلى هذه الحقائق العلمية في زمن متأخر ولكن القرآن الكريم قد سبق هذا الكشف العلمي بأربعة عشر قرناً فقد ذكر القرآن الكريم استثارة السحب بواسطة الرياح في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨]

كما ذكر تلقيح الرياح لبخار الماء الذي يؤدي إلى تَكَوُّن السحب الثقال ونزول المطر في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر] وذكر القرآن الكريم –أيضاً– أنَّ الرياح تستثير السحب وتحملها إلى أعلى، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾

أولاً

لم تذكر الآية (ذرات التراب والغبار الدقيقة) لا من قريب ولا من بعيد، إنما أقحمها أهل الإعجاز على الآية، متجاهلين شبه إجماع للمفسرين على «أن الرياح تلقح السحاب»[2]، وحتى من خالف هذا الرأي قال «هو تلقيح للشجر والسحاب

---

1 الصف الثاني الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص40، 41

2 تفسير الطبري، 17/86

تفسير البغوي، 4/375

تفسير ابن كثير، 4 /455

تفسير السعدي، 1 /430

بالمياة» [1] ولم يقل أحد أنه تلقيح بذرات التراب أو الغبار. فالآيات جميعها تتحدث عن ظاهرة تأثير الرياح في السحاب التي ينزل منها المطر كما يشاهدها البشر منذ قديم الزمن. في إشارة لقدرة الله تعالى المتجلية في الطبيعة فحسب.

ثانياً

كانت العرب في قديمها قبل الإسلام تعتقد في الرياح اللواقح، فيقولون «للجنوب لاقح وحامل، وللشمال حائل وعقيم» [2]. وفي الشعر الجاهلي نجد عبيد بن الأبرص يقول: [3]

لواقح دُلَّحٍ بالماء سُحــــمٍ　　　تَثُجُّ الماء من خَلَلِ الخَصاصِ
سحاب ذات أسحَمَ مُكفَهِرّ　　　توحي الأرض قطراً ذا افتحاصِ

ويذكر المرزوقي أن «العرب تجعل الرّياح لقاحا للرّياح لأنها تنشىء السّحاب وتقلّبه وتصرفه وتحلّه. قال الطّرماح وذكر بردا استظلّ به:

قَلِقٌ لأَفْنَانِ الرِّيَاحِ　　　لِلاَقِحٍ مِنْها وحَائِلْ

فاللاقح: الجنوب لأنّها تلقح السّحاب، والحائل: الشّمال لأنّها لا تنشىء سحابا» [4] وكان «أهل النخيل من العرب يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك، ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز.» [5]

---

1 تفسير الرازي، 19/134

2 مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، 6/3878

3 ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، 1994، ص72

4 المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص524

5 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الباب 24، الجزء1، ص176

ويقول الرازي في تفسيره: «يقال: نكح المطر الأرض إذا وصل إليها.» [1]
«أما اليونان فقد كانوا يعتقدون في قدرة الرياح وبالتحديد (الرياح الغربية) على تلقيح الشجر والحيوان وحتى المرأة، وانعكس هذا الاعتقاد في أساطيرهم وأعمال شعرائهم وفلاسفتهم وكتّابهم. ثم ورث الرومان نفس المعتقدات عن قدرة الرياح التلقيحية حيث حفلت أساطيرهم وأشعارهم وآدابهم بنفس الاعتقاد، وعند الفراعنة نجد في أسطورة ايزيس وأزوريس، أن ايزيس قد حبلت بابنها حورس بفعل ريح حملت إليها اللقاح الذكري.» [2] وعند السومريين في الأسطورة ولادة القمر (سين) إذ تحكي تلقيح الهواء (انليل) والذي يتمثل كذكر للأنثى (ننيليل)، فتلد الإله (سين). [3] فالاعتقاد في قدرة الرياح على التلقيح كان شائعاً في العديد من ثقافات الشعوب القديمة، وقد «كانت النصرانية عاملاً مهماً بالطبع في إدخال الآراء الإغريقية والسريانية إلى نصارى العرب» [4]وهو سبب فهم المفسرين للآيات بهذا الشكل.

---

1 تفسير الرازي=مفاتيح الغيب أو التفسير، 6/ 408

2 مقال: في دحض علمية القرآن....الحلقة الثالثة، احمد القاضي

3 صمويل كريمر، من ألواح سومر، ص163

4 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 6/ 689

4 - الجبال أوتادا[1]

يُعَرِّف علماء الجغرافيا والجيولوجيا الجبل بأنه: كتلة من الأرض تبرز فوق ما يحيط بها، وهو أعلى من التل،ثم أن من ينظر إلى الجبال على سطح الأرض لا يرى لها شكلاً يشبه الوتد أو المرساة، وإنما يراها كتلاً بارزة ترتفع فوق سطح الأرض، كما عرَّفها الجغرافيون والجيولوجيون. ولا يمكن لأحدٍ أن يعرف شكلها الوتدي، أو الذي يشبه المرساة إلا إذا عرف جزءها الغائر في الصهير البركاني في منطقة الوشاح، وكان من المستحيل لأحدٍ من البشر أن يتصور شيئاً من ذلك حتى ظهرت نظرية (سيرجورج ايري عام ١٨٥٥م) التي يقول فيها «أن القشرة الأرضية لا تمثل أساساً مناسباً للجبال التي تعلوها، وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزءاً طافياً على بحر من الصخور الكثيفة المرنة وبالتالي فلا بدأن يكون للجبال جذوراً ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان ثباتها واستقرارها.

ولقد وصف القرآن الجبال شكلاً ووظيفة، فقال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ]

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان:١٠] وقال أيضاً ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء:٣١]

أولاً

ليس من المستحيل أن يتصور الإنسان الشكل الوتدي للجبال. فمثلاً «كان كعب بن لؤي [الجد السابع للرسول] يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العَروبة، فيخطبهم فيقول:

أما بعد فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا، ليل ساجٍ، ونهار ضاحٍ، والأرض

1 الصف الثاني الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص41
تكرر في الصف السابع، كتاب التربية الإسلامية، الجزء الثاني، ص25

مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام...» [1]
فيذكر «الجبال أوتاد» كما في القرآن الكريم.
وكذلك الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت: [2]

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال

والشاعر الجاهلي أيضاً زيد بن عمر بن نفيل: [3]

أسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثِقالا
دحاهــا فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا

مما يعني أن إرساء الأرض بالجبال كان معتقداً شائعاً بين العرب. وليس العرب فحسب، فقد ورد في كتاب (الريج فيدا) الهندوسي نصاً يقول: «هو الذي أرسى الأرض وثبّتها عن الإهتزاز، وأسندها بالجبال». [4]
وفي العهد القديم من الكتاب المقدس نجد ما يشبه الإشارة لهذه الأساس للجبال حيث يقول: «فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال... [5]»

ثانياً

ليست كل الجبال بشكل وتد أو مرساة، فهذا النوع هو غالباً ناتج عن ثوران البراكين، لكن أيضاً منها المتطوي Folded mountain الذي ينشأ عن التثني في طبقات الأرض، مثال ذلك أن قشرة الأرض المنبسطة يقع عليها الضغط من

1 البداية والنهاية، 2/244
2 ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 3/153
3 سيرة ابن هشام، ص231
4 Rig-Veda, Book 2 - HYMN XII. Indra - 2
5 الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، 18: 7

جانبيها، فتنحصر الطبقة بينهما وينتج عن ذلك أن الطبقة تضيق بالوضع الذي هي فيه، تريد أن تنكمش فلا تستطيع، وإذن فهي تنثني وتظهر فيها طية أو طيات تماماً كالذي يحدث في السجادة، مثل جبال الأطلس في المغرب، وجبال الألب في سويسرا وجبال اليورال في روسيا. ومن أنواع الجبال أيضاً المتصدع Rift mountain وهو جبل يعطيك وجها منه كالصفحة انبساطاً، وهو ينشأ عندما تعمل القوى الباطنية في صخر القشرة الأرضية بحيث لا تكتفي بثنيها، فيكون من جراء ذلك كسرها وانصداعها، ونصف منها يصعد وهو الجبل ونصف يهبط فلا تراه العين أو قد تراه ولكن منخفضاً، مثل الصدع شرق الإفريقي. وأيضاً هناك الجبل المقبب Domed mountain وهو الذي كاد أن يكون جبلاً بركانياً لكنه عجز عن اختراق القشرة الأرضية فأصبح كالقبة مثل سلسلة جبال "سييرا نيفادا" في كاليفورنيا. وأخيراً هناك الجبل البركاني Vol-cano mountain الذي يتكون بخروج حمم من باطن الأرض، وتتراكم هذه الحمم ما ظل البركان في نشاطه، وتبرد ويتألف منها الجبل، وأشهر مثال لها جبل "كليمانجارو" في سهول أفريقيا، وجبل اليابان المقدس "فوجي ياما". [1]

ثالثاً

من الخطأ القول أن الجبال تثبت الأرض، بل على العكس، الجبال هي نتاج تحرك الصفائح التكتونية والزلازل، ولم تُلقَ من أعلى [2] كما تصور الآية*. وبعض مناطق التقاء الصفائح التكتونية هي مناطق عرضة لزلازل كثيرة رغم

---

1 أنظر: ويكيبيديا: جبل

2 How Do Earthquake Activities Influence the Formation of Mountains – by Amy Harris, Demand Media

* وكذلك يصور الحديث المخرج في مسند أحمد 12253: (لما خلق الله عز وجل الأرض، جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها فاستقرت)

وجود الجبال فيها. وأحياناً قد تكون الجبال سبباً في حدوث الزلازل واضطراب الأرض، لا استقرارها[1]. أما دوران الأرض فهو ثابت بفعل قوى الجاذبية بين الكواكب والنجوم المتجاورة، ولا علاقة للجبال على الأرض أو منخفضاتها بأي دور في استقرارها أو حركتها.[2]

رابعاً

«نظرية سير جورج ايري» التي ذكرها المؤلف، هي «فرضية جيوديزيائية قديمة ظهرت في عام 1855م وليست نظرية جيولوجية، وإلى جانب كونها ليست الفرضية الوحيدة في الجيودزياء، كانت هناك عدة فرضيات فالأمر لم يكن محسوما لأي منها في ذلك الوقت. وكان الجيوديزائيون يستعملون كل الفرضيات في حساباتهم، لكن منذ ظهور الجيودزياء الفضائية بما في ذلك أساليب جديدة لتحديد الجيود "شكل الأرض" مباشرة، سرعان ما تخلوا عن استعمال كل هذه الفرضيات بما فيها "فرضية ايري". أما في الجيولوجيا لم تُقبل فرضية ايري من طرف الجيولوجيين وكانوا يعتبرونها متناقضة مع الحقائق الجيولوجية، وتعزز هذا الرفض عندما ظهرت بوادر نظرية الصفائح التكتونية (في أوائل 1960) والتي تُفسر الغلاف الصخري من اعتبارات ليست ساكنة، فنظرية الصفائح هي ديناملكية أما مفهوم التوازن فهو ثابت (سكوني) والذي هو أساس فرضية ايري الجيودزيائية.» [3]

1 Diving Mountains: Can They Stop, or Start, Earthquakes Andrea Mustai –

2 UCSB ScienceLine – How does Earth keep its orbit around the Sun and not come closer to the Sun

3 أنظر مقال: الجبال ووهم الأوتاد المانعة لميد الأرض، نهى سيلين الزبرقان

خامساً

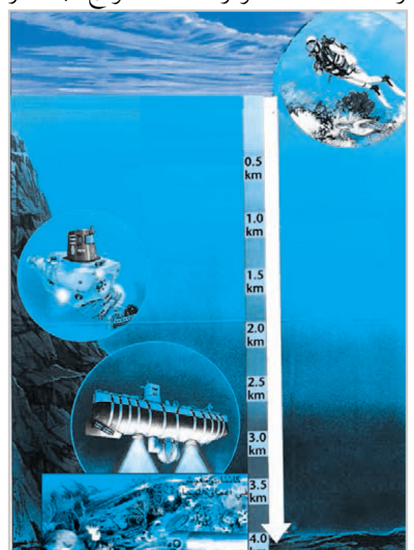
من الطبيعي أن تصف الآيات الجبال بهذا الوصف، مادامت نازلةً بغرض بيان عظمة الله وباستخدام المعارف المتوفرة حينها لدى المتلقين، وحتى لو افترضنا أن القرآن يلتزم الدقة العلمية في الخطاب الوعظي، فإذا كان "ألفريد فيجنر" عند تقديمه لنظرية الإنجراف القاري في 1912م قد تعرض للسخرية لسنوات قبل أن تُقبل النظرية[1]، فكيف يُتوقع ويُطلب من القرآن أن يذكر عند وصفه عظمة الله، انجراف القارات وشرح علمي دقيق لتكوين الجبال، وأن يفهم العرب ذلك قبل أربعة عشر قرن ؟!

1 أنظر: ويكيبيديا: نظرية الانجراف القاري

5 - موج من فوقه موج[1]

كان الناس جميعاً إلى ما قبل عام (١٩٠٠) لا يْعرفُون إلا موجاً واحداً في البحار وهو ذلك الموج المشاهدعلى سطح البحَر حتى جاء البحارة الاسكندنافيون، ليكشفوا حقيقة كانت غائبة وغير معروفة ، مخبوءة في أعماق البحار ، تلك الحقيقة هي أنه يوجد في أعماق البحار نوع آخر من الأمواج وأنها تقذف بالغائصين فيه كما يَقذَفُ لأمواج السطحية بالسباحين. وقد تمكن الباحثون حديثاً من تصوير الموج الداخلي بالأقمار الاصطناعية ومما عرف في العالم الحديث أن الأمواج تحجب أشعة الشمس من النفاذ إلى أعماق الماء ، حيث تنكسر هذه الأشعة وترتد ، فأمواج البحر السطحية تحجب قدراً كبيراً من أشعة الشمس الساقطة عليها وتقوم الأمواج الداخلية بحجب ورد ماتبقى من هذه الأشعة فتنشاء عن ذلك ظلمة شديدة ، إن هذه الكشوفات العلمية الحديثة قد أعلن عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً ، وعلمها رسول الله ﷺ قبل حدوث هذه الأكتشافات،فقال سبحانه:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور]



الأسماك في أعماق البحار

أولاً

نلاحظ أن الآية منتزعة سياقها التالي:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ

1 الصف الثاني الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص43، 42

يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(39) ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (40)

فالآيات تشبّه «قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب» كما قال ابن كثير[1] بمن هو وسط البحر في ليلة عاصفة، تتقاذفه الأمواج في ظلمة الليل وظلمة الموج وظلمة السحاب، فهي ظلمات بعضها فوق بعض حتى لو أخرج يده لم يكد يراها من شدة العاصفة .. وليس لها أي علاقة بالأمواج العميقة. ودعوى الإعجاز هنا مبالغة واضحة وتحوير للآية وتحميلها أكثر مما تحتمل. ثم أن السحاب ليس قريباً من الموج لدرجة إضافته له ومقارنته بالأمواج من ناحية ستر أشعة الشمس!

ثانياً

من ناحية لغوية، البحر اللجي، لا يعني البحر العميق كما يقول المؤلف. و**اللجة** ليست هي **العمق** في اللغة العربية. ففي **القاموس المحيط**: اللجة هي الأصوات.

وفي (**البارع في اللغة**) هو الصوت المختلط من الجمع لا تفهمه. يقال سمعت لجّة...ومنه قوله تعالى﴿في بحر لجّي﴾. وبحر لجاج [أي] واسع اللجّة.. والتجّ البحر إذا اختلطت أمواجه. وفي الحديث: من ركب البحر إذا التجّ فقد برئت منه الذمّة.[2]

وفي معجم **العين**: لجة البحر حيث لا ترى أرض ولا جبل. ولجج القوم: دخلوا

1 تفسير ابن كثير، 6/71

2 إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، البارع في اللغة، ص567

في لجة. وبحر لجي أي واسع اللجة. والتجّ الظلام: أختلط، والأصوات اختلطت وارتفعت.[1]

وفي **لسان العرب**: وألجّ القوم ولجحوا أي ركبوا اللجة. والتج الموج أي عظم. ولجج القوم إذا وقعوا في اللجة. قال الله تعالى﴿في بحر لجّي﴾. وقال بعضهم اللجة هي الجماعة الكثيرة كلجة البحر.[2]

فمعنى اللجة في هذه المعاجم يؤكد التفسير الذي عرضناه وأقره جميع المفسرين، وهو أن الآية تشبّه حال الكافر بحال من هو وسط عاصفة، ولا تصف حقيقة علمية حديثة.

ثالثاً

يوجد في الأساطير اليونانية ذكر للأمواج العميقة أو Benthesikyme* وهو اسم إحدى بناتPoseidon إله البحر، وهو نفس اسم الظاهرة المكتشفة حديثاً Deep Waves [3] فلو كان في الأمر إعجاز علمي لمجرد تشابه الألفاظ، لكان اليونان أولى به!

1 العين، 6 /19

2 لسان العرب، 2/354

* واسمها Βενθεσικυμη مركب من كلمتين: benthos وتعني الأعماق وkyma وتعني أمواج.

3 Deep Waves, By: Damond Benningfield Scienceandthesea.org. October 26, 2014

دروس الصف الثالث الثانوي
كتاب التربية الإسلامية – فرع الإيمان

«نظروا في القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله، فإذا مرت بهم آية فيها ذكر المطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا: هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف نشأ وكيف تسوقه الرياح. وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان وما خلق اله من شيء قالوا: هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة. وإذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم قالوا: هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمي دقيق!!. وهذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك؛ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف.» [1]

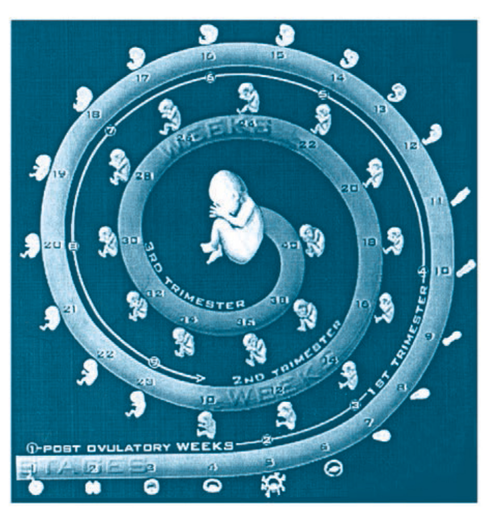
– شيخ الأزهر محمود شلتوت

1 محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص11، 13، 14

1 – الجنين في اليوم الثاني والأربعين [1]

١– قال عليه الصلاة والسلام: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله ما يشاء ويكتب المَلَك"(١)

نلاحظ في هذا الحديث أنه حدد ليلة معينة من عمر الجنين يدخل بعدها الملك فيشكل جسم الإنسان بأمر الله تعالى، وهي ليلة اثنتين وأربعين ليلة، فتظهر الصورة الآدمية، ويبدأ ظهور الأذن، وجهاز السمع، وظهور العين وجهاز البصر، ثم يتكون الجلد الذي يحمي جسم الإنسان من الجراثيم والميكروبات، ثم تتكون العظام، ثم تتشكل الأعضاء التناسلية.



مراحل خلق الجنين

إن هذه الحقيقة العلمية التي وردت في الحديث النبوي أكدتها البحوث التجريبية الحديثة؛ حيث أثبت كبار علماء الأجنة والوراثة في أمريكا بأن الجنين قبل اليوم الثاني والأربعين لا تكون صورة الوجه واضحة، وأن العين والأذن والأعضاء التناسلية لا تشبه أعضاء الإنسان قبل اليوم الأربعين؛ كما أثبت أحد علماء أمراض النساء والأجنة في كندا تَكَوُّن الهيكل العظمي الغضروفي عند حوالي اليوم الثاني والأربعين من عمر الجنين.

وقد توقف علماء الأجنة والوراثة في أوروبا وكندا وأمريكا عند اليوم الثاني والأربعين في دراساتهم وأعطوه أهمية خاصة لظهور البدايات فى تشكل الجنين وبروز شكله الآدمي.

1 الصف الثالث الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص40، 41

أولاً

علمياً لا يتكون -ولا يبدأ تكون- أي جزء في الجنين في يوم واحد، فضلاً عن تكون عدة أجهزة كاملة منه في يوم واحد كما يذكر الحديث.

ثانياً

الأجهزة أو الأعضاء المذكورة في الحديث لا تتكون في اليوم الثاني والأربعين (أي الأسبوع السادس).فيبدأ تكوين الأذن الداخلية في بداية الأسبوع الرابع.[1] والخارجية في بداية الأسبوع التاسع.[2] ويبدأ تكوين العين في الأسبوع الثالث ويكتمل الجهاز البصري في الأسبوع الثاني عشر ويستمر تطوره إلى ما بعد الولادة.[3] ويبدأ تكوين جلد رقيق وشفاف في الأسبوع التاسع ويستمر تطوره حتى الأسبوع الـثاني عشر.[4]

أما اللحم لو المقصود به العضلات بالمصطلح العلمي، فالقلب من العضلات. ويبدأ تكون القلب (منذ تكون خلاياه الأولية وحتى ينبض) خلال الفترة بين الأسابيع الثالث إلى السادس.[5]

ولو المقصود باللحم هو العضلات المخططة Striated muscles، فهذه العضلات يبدأ تكونها الأساسي في مرحلة الكتل البدنية Somite في نهاية الأسبوع الرابع[6] مع الغضاريف والعظام، وليس بعدها.

---

1 langman's medical embryology – Eleventh edition : p321

2 المرجع السابق : p329

3 Environmental Health Perspectives Vol. 44, 1982. Embryology of the Eye by Richard M. Hoar, pp. 31-34

4 langman's medical embryology – Eleventh edition : p339

5 المرجع السابق : p162

Fetal development: The 1st trimester – Mayoclinic

6 المرجع السابق: p70

أما التكوين النهائي للعضلات والغضاريف والعظام فليست كلها في مرحلة واحدة.. إضافة إلى أن بعض الغضاريف يستمر تطورها إلى عظام، وبعضها تبقى غضاريف.

ثالثاً

بحسب الحديث، يتحدد جنس الجنين «ذكر أم أنثى» في الليلة الثانية والأربعين، وهذا غير صحيح علمياً، فجنس الجنين تحدده الحيوانات المنوية للرجل منذ لحظة تخصيبها للبُييضة [1] وهذا ما يفترض أن الطالب قد تعلمه من نفس المادة في العام السابق. [2]

رابعاً

كالعادة، يحيل "المُؤلف" إلى: «كبار العلماء» و«أحد العلماء في كندا» و«علماء في أوروبا وكندا وأمريكا»، دون تحديد لأي اسم أو مؤسسة علمية يمكننا التحقق منها، ثم يدعي دعاوى غير علمية ويلصقها بهذه الجهة المجهولة!

1 المرجع السابق: p39

2 كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، الصف الثاني الثانوي، الدرس السابع

2 – تحريم كل ذي مخلب وناب[1]

لا أثر للبروفسور (سليبنج) في أي كتاب أو موقع أو مجلة، إلا في كتاب (الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم) لمحمد كامل عبد الصمد، المنشور في 1993، باسم (س.ليبج)، وعند من اقتبس من هذا الكتاب..[2]

٢– حـديث «حُـرِّم على أمـتي كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السبـاع»(١) أكـد العـالم البـريطاني (سليـبنج) في دراسـات أجـراها أن الشعوب آكلات لحوم الجوارح تصاب بنوع من الشـراسـة والميل للعنف ولو بدون سـبب، وأن بعض الآدمـيين من أكلة لحـوم الجوارح يصـابون بالضـراوة فـيـأكلون لحـوم البـشـر، وأشـارت الأبحـاث إلى حـدوث ظاهرة الفـوضى الجنسية وانعدام الغيرة، وعدم احترام نظام الأسرة، ومسألة العرض والشرف عند هؤلاء الناس.

ويبدو أنه قد نقل ادعاءه من كلام بعض الفقهاء كابن تيمية حيث قال:

«قلب الإنسان وخلقه يتغير بالمطاعم التي يطعمها؛ ولهذا حرم الله الخبائث حتى قيل إنه حرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير؛ لما في طباعها من البغي والعدوان، فيورث بطباع آكلها ما في طباعها»[3]

وكذلك نجد الخطيب الشربيني يقول:

«الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذي ولا بد أن يحصل للمتغذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات»[4]

---

1 الصف الثالث الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص41

2 محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ص83.

3 ابن تيمية، شرح عمدة الفقه لابن تيمية–من كتاب الصلاة، ص331، 332

4 الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ص352

وهذا بالطبع غير صحيح؛ لأن هذه القضايا الأخلاقية والاجتماعية، قضايا نسبية، كالغيرة والشرف ونظام الأسرة لا تنتقل عبر الأكل بعد قتل الحيوان وطبخه وهضمه! فهي نتاج البيئة والمجتمع وليس اللحم والشحم، وفي واقع الأمر نحن نرى المسيحيين العرب في سوريا والأردن ومصر يأكلون لحم الخنزير، ويشاركون إخوانهم العرب نفس صفة الغيرة، التي قد تنقلب لاحقاً إلى جريمة شرف.

كان اعتقاد انتقال الصفات عبر الأكل شائعاً في أغلب الحضارات القديمة، وقد ناقش عالم الأنثروبولوجيا الكبير جيمس فريزر ذلك باستفاضة في موسوعة (الغصن الذهبي) فيقول:

«من أكثر وأهم المحرمات التي كان يخافها الإنسان البدائي هي تناول بعض الأطعمة ... يؤمن البدائي أنه عندما يأكل لحم الحيوان أو الإنسان إنما هو يكتسب ليس صفاته الجسمانية فقط بل الصفات التي يتميز بها ذلك الحيوان أو الإنسان» مثل «قبائل الكريك الشيروكي في أمريكا الشمالية الذين يعتقدون بانتقال الصفات البشرية أو الحيوانية عن طريق الطعام، فالذي يقتات على الحيوانات تنتقل اليه صفة الدب الأخرق أو الماشية الأليفة البطيئة أو الخنزير المتمرغ بالشهوات... أما هنود الزابارو في الإكوادور فلا يأكلون اللحم الثقيل مثل حيوان التابير والبقري وهي حيوانات شبيهة بالخنزير... وكذلك بعض الهنود البرازيلين لا يأكلون الوحوش أو الطيور أو السمك التي تركض أو تطير أو تسبح ببطء كي لا يفقدوا قدرتهم على الفرار من أعدائهم. أما قوم الكاريب فيمتنعون عن لحم الخنازير كيلا تسبب لهم صغر العينين.. وعند بعض قوم الفان في أفريقيا الغربية لا يأكل الشباب السلاحف للأسباب نفسها، لكن يمكن لكبار السن أكلها لأنهم قد فقدوا قدرتهم على الركض أصلاً ولن يصيبهم بطء

من تلك الحيوانات... ويمتنع قوم ناماكواس والواغوغو من جنوب أفريقيا عن أكل الأرانب حتى لا يصبحوا ضعيفي القلب مثلهم، ويأكلون لحم الأسد ويشربون دم الأسود والنمور ليكتسبوا منها القوة. وكذلك شعوب الكرال والداياك والكايان والآينو والكانس في أفرقيا، ورجال جزيرتي بورو وأرو في الأنديز الشرقية، وأهل ميناء مورسبي ومقاطعة موتوموتو في غينيا الجديدة، وبعض أصلاء أستراليا، والميريس، وفي كوريا، والهند، والنرويج، ومراكش، وتركيا، والسودان» [1]

---

1 جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، (دمشق: دار الفرقد، ط 1، 2014) ص42، ص 635 – 638

التوازن الغذائي [1]

٣- حديث « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه »(٢) توصل العلم الحديث إلى أن كثرة الأكل يؤدي إلى السمنة التي تعتبر خللا في التمثيل الغذائي، وأشارت البحوث العلمية الحديثة إلى أهمية التوازن في تناول الطعام والشراب وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ في هذا الحديث وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾[الأعراف]، وقد كثرت الأبحاث في العصر الحديث التي تناولت وقاية الجهاز الهضمي، وأوردت عدداً من الأمراض التي يصاب بها الإنسان نتيجة عدم التوازن في الأكل.

لم تخلُ حضارة واحدة، شرقية أو غربية، قديمة أو حديثة، بدائية أو متطورة، من الحديث عن أضرار عدم التوازن في الأكل. يقول الألوسي «جميع سكان الأقاليم الصالحة اتفقوا على مراعاة آدابهم في مطعمهم ومشربهم.. وكان ذلك كالأمر المفطور عليه الإنسان» [2] والأمثلة في ذلك لا حصر لها...

فالنظام الغذائي في الهند يعود إلى عام 1500 قبل الميلاد [3] والنظام الصيني يعود إلى أكثر من 3000 قبل الميلاد، حيث كان الطعام الصيني «تجربة ذاتية واعية وعقلانية تدمج وتختار وتنظم بين أفضل تقاليد الطعام حول العالم» كما يصفها مؤرخ الغذاء مايكل فريمان [4]. وللفرس مقولة مشهورة: «من يأكل وهو شبع يحفر قبره بأسنانه.» [5] «وقد عرف الجاهليون أثر المعدة في

1 الصف الثالث الثانوي، كتاب التربية الإسلامية، فرع الإيمان، ص41، 42

2 محمود شكري الآلوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، 1/370

3 Manyam, B. V. (1995). Food, dietetics and nutrition in ancient India. Bulletin of the Indian Institute of History of Medicine (Hyderabad),25(1-2):79-99.

4 Michael Freeman Ch 4 “Sung,” in K.C. Chang, ed., Food in Chinese Culture (New Haven: Yale University Press, 1978), p. 143-145.

5 تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، عيسى إسكندر المعلوف، مؤسسة هنداوي، ص18

الصحة العامة، فعُدَّت بيت الداء، والحمية رأس كل دواء.»[1] «وكانت عادات العرب في ذلك أوسط العادات ولم يكونوا يتكلفون في المطاعم والمشارب»[2] «وكانوا يعيبون الرجل الأكول الجشع. ويرون أن "الأزم"، أي قلة الأكل أفضل دواء لصحة الأبدان. قيل للحارث بن كلدة، طبيب العرب في الجاهلية: ما أفضل الدواء؟ قال: الأزم. ولهم في ذلك أمثلة كثيرة في الأزم، وضرر البطنة. رووا بعضًا منها على لسان لقمان، ورووا بعضًا آخر على ألسنة الحكماء العرب.»[3] فأضرار عدم التوازن في الأكل قد عرفتها جميع حضارات العالم منذ القدم ولم يدّعِ أحد أنها اكتشاف علمي حديث!

---

1 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 8/401

2 بلوغ الإرب، الجزء الأول، ص371

3 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 9/58

دروس الصف الثالث الثانوي
كتاب القرآن الكريم وعلومه

«إن الربط بين القرآن والنظريات العلمية الحديثة خطأ يقع فيه بعض الباحثين بحسن نية ... إن الأمور العلمية في القرآن ما كانت إلا عبرة أو وسيلة لتقريب المعنى العام في الآية أو السورة إلى أذهان المخاطبين»

– الشيخ عبدالله عبادة

1 – الانفجار العظيم[1]

١– الإعجاز في خلق الكون، مثل قول الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء] فأخبرت الآية بأن الأرض والسماء بما تحويه من مجرات وكواكب كانت في الأصل (رتقا) أي كتلة واحدة ملتصقة، ثم حدث لتلك الكتلة (فتق) أي انفصال فتكونت هذه الكواكب والمجرات . وهذا ما يؤكده علماء الفلك والجيلوجيا

الإشارة هنا إلى نظرية الانفجار الكبير أو العظيم (Big Bang)، وهو تأويل ذكره الدكتور السيد الجميلي في كتاب بعنوان "الإعجاز العلمي في القرآن" عام 1986، وتبعه آخرون.

أولاً

معنى الرتق والفتق: رتق: رتق الشَّيْء رتقا سَده أَو لَحْمه[2]. فُتُق: خَصيب، وقد أَفْتَقَ القَوْمُ، أي: أَخْصَبُوا.[3]

فإذا ربطنا هذا بما جاء في الآية المذكورة، لوجدنا أن المراد هو أن «كانت السموات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات»[4] كما قال ابن عباس. ويؤيد هذا القول سياق الآية نفسها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وهذا ما أشار إليه الفرّاء[5]

1 الصف الثالث الثانوي، كتاب القرآن الكريم وعلومه، ص92

2 المعجم الوسيط، ص327.

3 المنجد في اللغة، ص282 .

4 تفسير ابن كثير، 5/297.

5 معاني القرآن للفراء، 2/201

كذلك، وعكرمة وعطية وابن زيد [1]، وورد في تفسير الجلالين [2] وذكره الطبري عن أبو جعفر قال:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ على ذلك» [3]

بالإضافة إلى تفسيرات أخرى، وكلها لا تمتّ إلى نظرية الانفجار الكبير بصلة.

ثانياً

نظرية الانفجار العظيم إلى الآن ليست حقيقة علمية ثابتة، ولكن من بين عدة نظريات منافسة، تتميز هي بأكبر (مصداقية تفسيرية) [4]، رغم وجود عدة مشاكل لم تحلها حتى الآن، مثل مشكلة الأفق [5] ومشكلة التسطح [6] ومشكلة أحادية القطب المغناطيسي [7].

ثالثا

لا تقول النظرية أن السماء والأرض كانت كتلة واحدة. لأن الأرض لم تتكون إلا

---

1 تفسير الطبري=جامع البيان، 18/432

2 تفسير الجلالين، ص 423

3 المرجع السابق، ص433

4 WMAP Science Team, “Cosmology: The Study of the Universe,” NASA’s Wilkinson Microwave Anisotropy Probe, last modified June 6, 2011

5 Kolb and Turner (1988), chapter 8

6 Dicke, R. H.. “The big bang cosmology—enigmas and nostrums”. Hawking, S. W. (ed); Israel, W. (ed)General Relativity an Einstein centenary survey: 504–517

7 Kolb and Turner (1988), chapter 8

بعد الانفجار العظيم بـ 9.16 مليار سنة [1] ولأن السماء ليست بناء مستقل بذاته بل هي مجرد انعكاس ضوء الشمس على الغلاف الجوي. [2] وبحسب النظرية فإن في "الانفجار" نفسه لم يكن هناك لا سماء ولا أرض. فالنظرية تنص على عدم وجود أي نوع من المادة أو الكتلة قبل حدوث الانفجار؛ لأن المادة جاءت إلى الوجود مع الانفجار نفسه. [3]

رابعاً

حتى لو قلنا أن مكونات الأرض البدائية كانت موجودة في الانفجار العظيم، فالأمر ذاته سينطبق على أي شيء آخر في الكون، كالصخرة والشجرة والماء والملابس، وكل ما يخطر على بال! فكما لا يصح القول أن الانفجار العظيم حدث للملابس والأشجار، لا يصح قول أنه حدث للسماء والأرض. هذا بالإضافة لضآلة حجم الأرض بالنسبة للكون أصلاً.

خامساً

نظرية خلق الكون من نقطة واحدة هي من أقدم الأساطير التي عرفتها المجتمعات والحضارات القديمة...وهي معروفة بأسطورة (البيضة الكونية) Cosmic Egg[4]. وقد عرفتها أديان الهند في كتاب (الرجفيدا) والديانة الطاوية في الصين ومصر الفرعونية والبابليين في أسطورة (الأنوما إيليش) وحتى ثقافات الهنود الحمر. ونجد كذلك ذكر للفتق والماء والرياح عند بدء الخلق. [5]

---

1 Keeping the young Earth cosy – Nature.com

2 ويكيبيديا: سماء

3 What Is the Big Bang Theory? By Elizabeth Howell, Space.com

4 Wikipedia: Cosmic Egg

5 فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض، دار الكلمة، سوريا، ص36

سادساً

بالعودة للشعر الجاهلي، فإننا نجد قصيدة لعدي بن زيد العبادي وكان نصرانيّا يقرأ الكتب، يعرض فيها قدرة الله في بدء الخلق بما يوازي هذه الآية، لفظاً ومعنى. قال عدي بن زيد العبادي:

كانت رياحا وماء ذا عرانية — وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللا

فأمر الظلمة السوداء فانكشفت — وعزل الماء عما كان قد شغلا [1]

فيستخدم القرآن نفس هذه التعبيرات:

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

مما يؤكد هذه التوصيفات لبدء الخلق ومراحله كانت معروفة عند العرب، وإنما جاء القرآن ليذكرهم بواسطتها بالإيمان بالله.

1 البدء والتاريخ، ص1/151

2 – الكائنات لا تستغني عن الماء[1]

كـذلك اثبت العلم الحديث أن جميع
الكائنات الحيـة مما فيـها الكائنات المجهـرية كـالجراثيم وأنواع البكتـريا
والفيروسات،كلها لا يمكن أن تستغني عن الماء من أجل أن تحيا ، وإن استغنى
بعضهاعن الهواء .

واستكمالاً للإعجاز في الآية السابقة ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُون﴾ [الأنبياء:30]

يتضح مما سبق أن تعبير "كل شيء" في الآية ضمن سياق إنشائي تكاملي للآية جاء «على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء» كما في تفسير البغوي[2]، وإن كانت موافقة للعلم حتى الآن، فهذا لا يعني قصد القرآن لذلك،

وحقيقة أن الجميع الكائنات الحية تعتمد على الماء لا يُعتبر كشفاً علمياً حديثاً ولا حتى كشفاً علمياً ابتدأه القرآن. فنظرية الأصل المائي للمخلوقات كان يعتقد بها الكلدانيون والبابليون [3] ومن بعدهم دعمها اليونان وتحديداً الخطيب اليوناني شيشرون [4]، والفيلسوف طاليس الذي جعل الماء هو المبدأ الأول لجميع الأشياء، وشكلها الأصلي ومصيرها النهائي.[5] وقد خصت الهندوسية قبل آلاف السنين، إلهةً خاصة للماء هي الإلهة "جانجا" للدلالة على أهمية الماء

1 الصف الثالث الثانوي، كتاب القرآن الكريم وعلومه، ص92

2 تفسير البغوي، 3/287

3 Abraham Feldman (Oct 1945). "Thoughts on Thales". The Classical Journal 41 (1): 4–6

4 Cicero, De natura Deorum, i.,10

5 قصة الحضارة، 6/252

للحياة.[1] ويؤمن الصابئة المندائيون برمز الحياة العظمى وهو "الماء الحي" أو الجاري ويسمونه "يردنه"[2]. وفي أسطورة الخلق البابلية (الأنوما إيليش): في تلك الأزمان الأولى، لم يكن سوى المياه.[3] واعتقد المصريون القدماء أن الإله نون هو أول آلهة قدماء المصريين متمثلاً في الماء. وتخيلوه على أنه عمق سحيق يحيط بفقاعة حيث الحياة موجودة بداخلها وكان ذلك يمثل سر نشأة الكون والأرض. وفي متون هرمس المصري توصف قصة الخلق: (وفاضت كلمة آتوم على المياه الصاخبة لتجعلها حُبلى بجميع الأشكال)[4] أما سفر التكوين في الإنجيل فيذكر خلق كل الأنفس الحية من المياه في النص التالي:

(وَقَالَ اللهُ: لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ. فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الْتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا)[5]

---

1 wikipedia: Ganges in Hinduism

2 الليدي دراوور، الصابة المندائيون، دار المدى، ط2، ص31، 47

3 فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض، دار الكلمة، سوريا، ص25، 35، 52

4 متون هرمس، جمع تيموثي فريك، وبيتر غاندي، ترجمة: عمر الفاروق (مصر: المشروع القومي للترجمة،2002) ص39

5 سفر التكوين 1: 20

«تأويل القرآن ليرجع لبعض النظريات العلمية التي لم يقر قرارها، خطر عظيم» [1]

– الشيخ محمد مصطفى المراغي

عالم أزهري وقاضٍ شرعي

1 محمد مصطفى المراغي، مجلة الأزهر، المجلد التاسع، 1957م، ص173، الدروس الدينية

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

غالباً ما يختم أهل الإعجاز العلمي تدليسهم، بتدليس معنى هذه الآية أو ما يشابهها، لتعطي معانٍ تتجاوز زمان ومكان القرآن الكريم، وتبرر تأويلاتهم المتكلفة، خلافاً لإجماع المفسرين على معانيها. وهو أسلوب يتكرر في العديد من سور القرآن، سأكتفي بتفنيد مثال واحد له وعليه يمكن قياس البقية:

عند الطبري المتوفى عام 310 هـ :

"في الآفاق" يعني خراب منازل الأمم الخالية، "وفي أنفسهم" بالبلايا والأمراض... "وفي أنفسهم" فتح مكة. وهذا اختيار الطبري. وقال المنهال بن عمرو والسدي. وقال قتادة والضحاك: "في الآفاق" وقائع الله في الأمم، "وفي أنفسهم" يوم بدر. [1]

وعند البغوي 516 هـ :

قال قتادة : في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم: يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي: في الآفاق :ما يفتح من القرى على محمد والمسلمين، وفي أنفسهم: فتح مكة.[2]

وعند الرازي 606 هـ :

أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات أنفسهم فتح مكة والقائلون بهذا القول رجحوه على القول الأول[3]

وعند الخازن 741 هـ :قال ابن عباس يعني منازل الأمم الخالية وَفِي أَنْفُسِهِمْ أي البلاء والأمراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من

---

1 تفسير الطبري، 15/374

2 تفسير البغوي، 4/138

3 تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير، 27/574

القرى والبلاد على محمد والمسلمين، وفي أنفسهم هو فتح مكة.[1]

و**عند ابن كثير** 774 هـ :

في الآفاق، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع.[2]

و**عند الشوكاني** 1839 هـ :

قال مجاهد: في الآفاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسوله وللخلفاء من بعده ونصّار دينه في آفاق الدنيا شرقا وغربا، ومن الظهور على الجبابرة والأكاسرة، وفي أنفسهم: فتح مكة، ورجح هذا ابن جرير. وقال قتادة والضحاك: في الآفاق: وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم في يوم بدر.[3]

نلاحظ أن المفسرين أجمعوا -ومن النادر أن يجمعوا- على معنىً واحدٍ للآية، خاص ومحدد لا يجوز تعميمه كما يقول د. مساعد بن سليمان في رده على تأويل أهل الإعجاز لهذه الآية، أنها «وإن كانت عامة في التلاوة إلا أنها خاصة في التفسير، فهي من قسم العموم الذي يريد به الخصوص، فلا يصح الاعتبار بعموم اللفظ هنا»[4]

ومع ذلك لا يكفّ أهل الإعجاز العلمي عن إخراج الآيات من سياقها ليصبح معنى الآفاق في الآية، هو الأكوان، ومعنى أنفسهم هي أجسادهم!

1 تفسير الخازن=لباب التأويل في معاني التنزيل، 4 / 92

2 تفسير ابن كثير، 7/ 187

3 فتح القدير للشوكاني، 4 /599

4 مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الاعجاز العلمي إلى أين، ص47

«فكم يخفى على الفقيه والحاكم الحق في المسائل الكثيرة بسبب الجهل بالحساب والطب والهندسة فينبغي لذوي الهمم العلية أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم» [1]

- شهاب الدين القرافي

فقيه وأصولي وعالم طبيعة من القرن السابع الهجري

1 القرافي، الفروق – أنوار البروق في أنواء الفروق، 4/ 27

الإعجاز العلمي في الهندوسية والشعر العربي

لا يقتصر إدعاء الإعجاز العلمي على المسلمين فقط، فعند اليهود نجد Hidden messages in the Torah (الرسائل السرية في التوراة)، وعند المسيحيين Bible codes (رموز الإنجيل)، وحتى في الديانة البوذية والطاوية [1] لكن ربما أكثر هذه المقارنات إثارة لعجب المسلم بالذات هو الإعجاز العلمي في الديانة الهندوسية بنصوصها التي تعود إلى ما قبل 6000 سنة، وننقل هنا بعضاً مما جاء فيها: [2]

Earth rotates in two ways by the Will of Brahama, first it rotates on its axis secondly it revolves around sun. Days and Nights are distinguished when moves on its axis. Season change when it revolves around Sun. [3]

(تدور الأرض بأشكال مختلفة بإرادة براهما، فهي أولا تدور حول محورها وهي ثانية تدور حول الشمس. يتم التمييز بين الأيام والليالي بدورتها حول محورها. تتغير الفصول عندما تدور حول الشمس.)

The spherical earth stands firm in the space. [4]

الأرض الكروية تقف ثابتة في الفضاء.

All the six Kula mountains enter into the womb of the ocean;

---

1 أنظر: الطاوية والفيزياء الحديثة، فريتجوف كابرا، ترجمة حنا عبور، دمش، دار طلاس، 1999.

2 أنظر: Convergence: Ultra Science and Vedic Spirituality. By: Radhakrishna Panicker. Notion Press, 2016

3 p. 212 Vishnu Purana, CHAP. VII

4 12th ch-32 sloka

and the earth here is sloping towards the south and north and at the middle it is raised to great heights[1]

بمعنى أن (الأرض مسطحة عند القطبين)

Touched by the rays all this becomes purified; touched by the rays even the water becomes purified.[2]

بمعنى أن (زرقة السماء هي انعكاس لأشعة الشمس)

Seven horses draw the chariot of Surya(Sun)... Further it states, these seven horses are the seven colors compromising light.[3]

سبعة أحصنة جرّت مركبة الإله سوريا (إله الشمس). ويذكر لاحقاً بأن هذه السبعة الأحصنة هي السبعة ألوان المكونة للضوء.

In the initial stage of creation of Universe some creation material slipped from the hands of Brahma and collided with earth resulting in the formation of Moon. [4]

في المرحلة الأولى من خلق الكون، انسلّت بعض من مواد الخلق بين يدي براهما واصطدمت بالأرض مسببة في تكوين القمر.

After the formation of the earth planet, Brahama created at-

---

1 Markandeya Purana 54.12

2 Markandeya Purana 78.8

3 Rig Veda

4 Brahmand Purana

mosphere in group of seven, from that formation oceans began to exist, and the first form of life appeared on the earth planet. Atmosphere was created as protective skin of earth. [1]

بعد تكوين كوكب الأرض، خلق براهما الغلاف الجوي في مجموعات سبع، من ذلك التكوين بدأت المحيطات بالظهور، وظهرت أول أشكال الحياة على كوكب الأرض.خلق الغلاف الجوي ليكون كقشرة حامية الأرض.

There are planets in all directions, but only visible in night sky [2]

ثمة كواكب في جميع الاتجاهات لكننا نراها فقط في الليل.

The Sun does never set nor rise. When people think the Sun is setting it is not so. For after having arrived at the end of the day it makes itself produce two opposite effects, making night to what is below and day to what is on the other side. Having reached the end of the night, it makes itself produce two opposite effects, making day to what is below and night to what is on the other side. In fact, the Sun never sets. [3]

الشمس لا تغرب ولا تشرق. عندما يعتقد الناس أن الشمس تغرب هي لا تفعل ذلك. عندما تغادر في آخر اليوم هي تقوم بتأثيرين متضادين، تسبب الليل لما تحتها والنهار في الجهة الأخرى. والعكس. في الحقيقة الشمس لا تغرب.

---

1 Shrimad Bhagwatam

2 Rig Veda

3 3.44Aitareya Brahmana

The unreal has never existed. The real always exists. [1]

لا يمكن إيجاد ما هو غير موجود، ولا يمكن إفناء الموجود (قانون بقاء المادة والطاقة)

When the sun, the naval of the endless world, began to roam, the earth, with its seas, mountains and forest, got up to the sky[2]

بمعنى أن (الشمس هي مركز المجموعة الشمسية)

نفس هذه المنهجية لدى أهل الإعجاز العلمي، يمكننا أن نستخرج بها بشكل طريف إعجازاً علمياً من أي نص أدبي، وليكن من الشعر العربي. فكما وجدنا سابقاً إعجازاً علمياً في شعر أمية بن أبي الصلت، والسموأل، وزيد بن عمر بن نفيل، وعدي بن زيد، وفي قول الأعرابية، وشعر زوجة أبي حمزة الضبي، وشعر عبيد بن الأبرص، وخطبة كعب بن لؤي، كذلك نجد أبو نواس يقول:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنّ اللّوْمَ إغْرَاءُ   ودَاوني بالّتي كانَتْ هيَ الدّاءُ

فيمكن أن نقول في قوله: (دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنّ اللّوْمَ إغْرَاءُ) سبق أبو نواس علماء النفس كسيجموند فرويد وكارل يونج وألفرد أدلر في أن الممنوع (Taboo) يثير الإغراء والرغبة فيه [3] بما يعرف بتأثير البمرنغ Boomerang Effect. أما في قوله (ودَاوني بالّتي كانَتْ هيَ الدّاءُ)، سبق أبو نواس لويس باستير وألكسندر فليمنج مكتشف البنسلين والمضادات الحيوية بأكثر من ألف سنة، بحقيقة أن بعض الداء يستخرج من الدواء.

1 Bhagavad Gita 16-2

2 Markandeya Purana, 106. 41

3 Forbidden and Desired Taboo Erotica Bundle Sasha Young –

كما ورد في معلقة امرؤ القيس:

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ　　يقُولون لا تهلكْ أسىً وتجمّل

ووجه الإعجاز في هذه الأبيات في قوله **تهلكْ أسىً** وهو إمكانية الموت بالأسى، إذ أثبت العلم الحديث أن حالات الاكتئاب الشديد قد تُؤدي إلى الموت في النهاية.[1]

كما ورد في معلقة عنترة بن شداد قوله:

وَخَلاَ الذُّبَابَ بِــهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ　　غَرِدَاً كَفِعْلِ الشَّــارِبِ المُتَرَنِّــمِ

ليكتشف العلم الحديث أن الذباب يُصدِر موجات صوتية لا يسمعها الإنسان[2]، لها إيقاع أشبه بالإيقاع الموسيقي، وهو ما أشار إليه عنتره في قوله (غردا) !

وأيضاً ورد عن المتنبي قوله في وصف حمّىً كانت تأتيه ليلاً كأنها تستحي:

وزائرتي كأن بها حياء　　فليس تزور إلا في الظلامِ

لتؤكد البحوث العلمية كلامه بأن حرارة الجسم أعلى ما تكون بين الساعة 6:00 إلى 10:00 مساءً [3]

من هذه النماذج تتضح سهولة إمكانية قلب العبارات الأدبية إلى إشارات إعجازية لحقائق علمية، باستغلال أبسط اشتباك لفظي أو معنوي، بين النص الأدبي والكشف العلمي الحديث، ليتم تأويل النص بأثر رجعي حتى يحتوي ذلك الكشف العلمي، وبمساعدة المعاجم اللغوية المليئة بالمفردات والمترادفات وبقليل من الخيال والإبداع في عالم المجاز والتأويل، لا يمكن لأحد تصور الحدود التي يقف عنها الإعجاز العلمي للشعر الجاهلي أو أي نص مقدس آخر!

1 Study confirms that depression can shorten life – Research.va.gov

2 The sounds produced by flies and bees – Harald Esch, Donald Wilson

3 Oxford Handbook of Clinical Examination and Practical Skills, by James Thomas & Tanya Monaghan, First published 2007, p60.

«أنا كعالم، شفت الدنيا وقريت، وبقرأ، وعندي تطلعات كثير، لا أرى تصادم بين العلم وبين الدين» [1]

– أحمد زويل

العربي المسلم الوحيد الحاصل على نوبل في العلوم

في تصريحٍ له، عند سؤاله عن رأيه حول

إضافة الإعجاز العلمي للمناهج الدراسية المصرية

1 ”زويل يعلن رأيه في ضم الإعجاز العلمي إلى المناهج الدراسية (Youtube)

الفصل الثاني

أصل المشكلة

البدايات

يحدثنا ابن خلدون في مقدمته أن «الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة ... والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعلّم والتأليف والتدوين ولا دُفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة... والأمية يومئذٍ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً ... فالعلوم حضرية والعرب أبعد الناس عنها وعن سوقها... فلما بَعُدَ النقل من لدنّ دولة الرشيد فيما بعدُ أُحتيج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه... وفسد مع ذلك اللسان فأحتيج إلى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية» [1] ويفرّق الخوارزمي بوضوح في مقدمة كتابه بين «علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية. والثانية علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم» [2]

فثقافتنا العربية عرفت العلوم الشرعية قبل غيرها من العلوم بمدة طويلة، «فكانت العرب في صدر الإسلام لا تُعنى بشيء من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها[3]»حتى صار العلم يعرّف بال التعريف (العلم) بمعنى العلم الديني فحسب، وهذا هو معنى كلمة العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية وأدبيات الفقهاء.[4]

«ولمّا جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكاً وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأميّة إلى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتّاب والحسبان، فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والي الأردنّ

1 مقدمة ابن خلدون، ص748، 749

2 مفاتيح العلوم، الخوارزمي، دار الكتب العربي، ص15

3 طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، ص47 ؛ ونفس العبارة في أبجد العلوم للقنوجي، ص101

4 راجع مقالة بقلم المستشرق جولد تسيهر بعنوان (موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل) ضمن بحوث ترجمها د.عبد الرحمن بدوي، وجمعها في كتاب عنوانه: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ص123

لعهده أن ينقل ديوان الشّام إلى العربيّة [1]». «فنقل دواوين الدولة البيزنطية وترجمتها إلى العربية [تم] قبل نقل النصوص العلمية والفلسفية. وخلال نقل الدواوين وترجمتها نُقل معها كثير من المعارف المرتبطة بالدواوين» [2] وهذه المعارف المرتبطة بالدواوين نجدها في كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة حيث يقول:

«وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلّق من ... الكتابة إلا بالاسم، ولم يتقدم من الأداة، إلا بالقلم والدواة، ولكن ... لا بد له من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين، حتى يعرف المثلث القائم الزاوية، والمثلث الحاد، والمثلث المنفرج، ومساقط الأحجار، والمربعات المختلفات، والقسي والمدورات، والعمودين، ويمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر، فإن المخبر ليس كالمعاين؛ وكانت العجم تقول: "من لم يكن عالما بإجراء المياه، وحفر فرض المشارب، وردم المهاوي، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص، ودوران الشمس، ومطالع النجوم، وحال القمر في استهلاله وأفعاله، ووزن الموازين، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه، وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب؛ كان ناقصا في حال كتابته".» [3]

يُشاع خطأً اليوم أخذُ هذا اللفظ في النصوص الدينية بمعنى العلم التجريبي Science. والواقع أن «في الإسلام لم تقع به عناية إلا في القليل [4]» كما قال ابن خلدون، وهذا القليل جاء متأخراً ومقتصراً على «علوم أمة واحدة وهم

1 مقدمة ابن خلدون، ص303

2 رشدي راشد، دراسات في تاريخ العلوم العربية وفلسفتها، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، ط 1، 2011، ص68، 69

3 ابن قتيبة، أدب الكاتب، مؤسسة الرسالة، ص13

4 مقدمة ابن خلدون، ص642

اليونان خاصةً لكَـلفِ المأمون [في القرن الثالث الهجري] بإخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الأموال فيها، ولم نقف على شيء من علوم غيرهم[1]» ثم أن مصطلح العلم Science لم يظهر إلا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، أمّا فيما سبق فكان يُطلق على علماء الطبيعة تسمية "الفلاسفة الطبيعيون"[2]. فأخذُ لفظ العلم في الآيات بمعنى البحث العلمي التجريبي كما نفهمه اليوم إنما هو تأويل بأثر رجعي، لم تصرّح به الآيات، وإلا لو كان الأمر كذلك «فما لنهضتنا العلمية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن؟!» كما يتساءل الشيخ أمين الخولي. [3]

والجواب أن العلم حينها كان هو علم الدين فحسب؛ لذلك رفض كثير من الفقهاء الاعتراف بالعلوم الطبيعية كعلوم، فيقول الغزالي: «أما الطبيعيات فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ»[4]«بعضها مخالف للشرع والدين والحق، فهو جهل وليس بعلم.»[5] ويوضّح ابن العربي أن مقولة "**العلوم كلها في كتاب الله**"، «إنما عُني بها ما كان علماً لذاته، لا ما وقعت الدعوى فيه أنه علم وهو جهل، وذلك يرجع إلى العلوم الشرعية».[6]ويؤكد ابن تيمية أن: «العلم الموروث عن النبي ﷺ هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علماً، فلا يكون نافعاً، وإما ألا يكون علماً، وإن سُمّي به»[7] ويعتبر ابن القيم أن علوم الصحابة الدينية أشرف وأهم من الأمم الأخرى التي

---

1 مقدمة ابن خلدون، ص50

2 أنظر: wikipedia فلسفة طبيعية.

3 أمين الخولي، التفسير، نشأته، تدرجه، تطوره، ص61

4 مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا (القاهرة، دار المعارف بمصر، 1961) ص 32

5 الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/14

6 أبو بكر ابن العربي، قانون التأويل، ص518

7 فتاوى ابن تيمية، 10/ص664

هي:
«أعلم بالحساب والهندسة، والكم المتصل والكم المنفصل، والنبض والقارورة والبول والقسطة، ووزن الأنهار ونقوش الحيطان، ووضع الآلات العجيبة، وصناعة الكيمياء، وعلم الفلاحة، وعلم الهيئة وتسيير الكواكب، وعلم الموسيقى والألحان، وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع، وبين ظنون كاذبة، وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد» [1]

ويؤكد الغزالي إلى حصر الإهتمام بالعلوم الدينية عن غيرها فيقول: «أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فإياك أن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه.» [2]

ويقول التوحيدي:
«وأنا أعوذ بالله من صناعة لا تحقّق التّوحيد ولا تدلّ على الواحد ولا تدعو إلى عبادته، والاعتراف بوحدانيّته، والقيام بحقوقه، والمصير إلى كنفه، والصبر على قضائه، والتسليم لأمره، ووجدت أرباب هذه الصناعات، أعني الهندسة والطبّ والحساب والموسيقى والمنطق والتّنجيم معرضين عن تجشّم هذه الغايات، بل وجدتهم تاركين الإلمام بهذه الحالات، وهذه آفة نسأل الله السّلامة منها» [3]

وقد نظم الشافعي في ذلك قوله: [4]

كل العلوم سوى القرآن مشــغلة   إلا الحديث وإلا الــفقه في الدين
العلم مــا كان فــيه قال حدثنا   وما سوى ذاك وسواس الشياطين

---

1 ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار القلم، الطبعة الأولى، 2/442

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 53

3 التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة: الرسالة السابعة والثلاثون. ص365

4 البداية والنهاية، 10/254

وقال أحدهم:

أيها المغتدي ليطلب علما كل علم عبد لعلم الرسول

هذا المواقف وإن كانت غير مقبولة اليوم، إلا أنها تعبر عن اتساق الفقهاء مع مفهوم العلم الذي جاءت به النصوص في ذلك الوقت، وقد استمر الحال على ذلك إلى حينٍ بدأت فيه العلوم الأخرى تزاحم هذا العلم الأوحد، في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية. حيث «أدت سياسة تنفيذ المشاريع الضخمة التي ارتبطت بانتقال السلطة إلى العباسيين، وخاصة تخطيط المدن بما استلزمته من معارف فلكية وهندسية وحسابية إلى تشجيع الترجمة» [1] «والاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الأساقفة والاِقِسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها. فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث إليه بكتاب أوقليدس [وهو أول ما تُرجم من كتاب اليونانيين] [2] وبعض كتب الطبيعيات. فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها» [3] «فاختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم، وجدوا عند هؤلاء الأمم من العلوم والصنائع والفنون، فاستفادوا منها ونقلوا معظمها إلى لسانهم، وسمحوا لأولئك المغلوبين أن يأتوا في ترقيتها بما شاءوا، وظهرت

---

1 رشدي راشد، دراسات في تاريخ العلوم العربية وفلسفتها، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، ط 1، 2011، ص69

2 «تذكر بعض المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية عام 64هـ أمر رجلاً يدعى أصطفن القديم بأن ينقل له كتب الكيمياء، فكان ذلك أول نقل في الإسلام.. ولا نستطيع اليوم أن نجزم بشيء من ذلك...الخ» عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص242. ويُنظر: رشدي راشد، دراسات في تاريخ العلوم العربية وفلسفتها، ص96، 97.

3 مقدمة ابن خلدون، ص632، ص639

عند ذلك نهضة علمية...استمرت مدة أربعة قرون تقريباً» [1] فانظمَ العلم الطبيعي Science إلى جانب العلم الدينيTheology ليسمى في اللغة العربية بمسمى واحد مشترك الدلالات هو (العلم). يقول جواد علي «فلفظة "علم"، لا تعني علمًا بالمصطلح الحديث, أي: في مقابل Science في الإنكليزية، وإنما تعني المعرفة عامة. ولفظة "علماء"، لا تعني المشتغلين بالعلوم خاصة أي ما يقال لهم Scientist في الإنكليزية، وإنما يراد بهم العارفون أصحاب المعرفة والفهم. وقد صار للفظتين مدلولان خاصان في العصر العباسي.» [2] «ولأنه لم يحدث مثل هذا التحديد المصطلحي في مجمل حضارتنا؛ اتسم مصطلح العلم لدينا بالميوعة التي تنعكس في ميوعة وضع "العلم" في أيديولوجيتنا، لدرجة تستدعي الملام.» [3]

وحُجتهم الكلاميّة في ذلك يلخصها الزركشي بأن «العلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله» [4] وبما أن علماء الكلام اعتبروا كلام الله (القرآن) غير مخلوق بل هو من صفات الله الذاتية مثل صفة العلم؛ ظهر ادعاءُ «أن في القرآن مجامع علم الأولين والآخرين» [5] وأن «العلوم ليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها ... وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك)» [6]

وترى الدكتورة يمنى الخولي أن رجال الدين كانوا فقهاء وعلماء في نفس الوقت:

1 قاسم أمين، الأعمال الكاملة، دار الشروق، ط2، ص494، 495

2 المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 8/321

3 يمنى طريف الخولي، الطبيعيات في علم الكلام، مصر، هنداوي، ص103

4 البرهان في علوم القرآن، جواهر القرآن، الزركشي، 2/155

5 الغزالي، جواهر القرآن، ص 21

6 الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 4/38، 28

«يضعون نظرية للعلم تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا؛ لأن العلم الديني القديم كان شاملاً لعلم الطبيعة والإنسان... فالطبيعيات لم تكن إلا سلماً للإلهيات، وليست مطلوبة في حذ ذاتها أبداً للفهم والتفسير، المطلوب فقد استخدامها، وبالتحديد استخدام "حدوث العالم" كدليل على العقائد الإلهية. الحادث هو الجسم الطبيعي، فكانت الطبيعيات محض صورة عقلية للإلهيات، خادمة لها وليس للإنسان... فوضعوا الطبيعيات (تحت مسمى الأعراض والجواهر) في قلب نظرية الوجود وهذا الذي أدّى -وكان لا بُد وأن يؤدي- إلى جعل الطبيعيات إلهية، أو متجهة نحو الإلهيات، لأننا حضارة مركزها الوحي/ النص. والواقع أنه لم يحدث أصلاً فصل بين نظرية الوجود وبين الإلهيات في مُقدمات علم الكلام إلا في المصنفات المتأخرة بعد مرحلة النضج. لذا فكثير ما يستحيل التفرقة بين الطبيعيات وبين الإلهيات. وها هو ديوان الأصول للنيسابوري المعتزلي يحمل عنوان "التوحيد" في حين أن أربعة أخماسه حول الطبيعيات، ومثله معظم مصنفات علم الكلام» [1].

«لذلك فقد آمنوا بوجود وحدة عضوية بينها ولم يروا انفصالاً بين العلوم الطبيعية وعلوم الدين، فعدّوها تتحرك جميعاً نحو هدف واحد، فكانت جميع العلوم تُدرَّس عند المسلمين في مكان واحد، وتَخصص بعض المسلمين في علوم مختلفة، فجمعوا بين الفلسفة والطبيعيات والعلوم الدينية، وتركوا مصنفات في كل هذه الحقول، فقد ألّف الكندي في الرياضيات والفلك والطبيعيات والفلسفة وكتب تفسيراً للقرآن، كما ترك ابن رشد أعمالاً في الفلسفة والطب والفقه الإسلامي» [2]

فأصبح هناك خلط بين عالِم الطبيعة بمعنى Scientist، وعالِم الدين بمعنى Theologian (لاهوتي أو فقيه)، من المفترض أن لا ميزة لحديثه في أي

1 يمنى طريف الخولي، الطبيعيات في علم الكلام، مصر، هنداوي، ص 114،49، 92، 93

2 مهدي گلشني، من العلم العلماني إلى العلم الديني، ترجمة سرمد الطائي،دار الهادي، ص129

علوم أخرى، طبيعية كانت أو إنسانية، عن حديث الرجل العامي، ما لم يكن متخصصاً فيها. وليس له مرجعية إلا ضمن تخصصه في أحكام الدين، حلاله وحرامه وعقائده وغيبياته وتفسيره إلى غير ذلك..

«فالدين مقدّس والعلم ليس مقدساً.. الدين مطلق والعلم نسبي.. جوهر الدين متجاوز للزمان، بينما العلم حادث ومرحلي.. الدين يتحدث عن الكليات، والعلم في الجزئيات.. الدين تسليم، والعلم برهان.. الدين هابط من أعلى إلى أسفل، والعلم صاعد من التخصيص إلى التعميم.. الدين يحلّل ويحرّم، بينما العلم يصدّق ويكذّب.. الدين كشفٌ للطريق إلى الآخرة، والعلم كشفٌ لأسرار الدنيا.. التكذيب في الدين كُفر، والتكذيب في العلم منهج.»* أو كما لخّص المسألة أبو حيان التوحيدي في عبارة جميلة حينما قال أن الدين وحيٌ نازل، والعلم رأيٌ زائل.[1]

وكانت نتيجة هذا الخلط أن «بدأت نظرية العلم في الاختفاء من المؤلفات المتأخرة وعصر الشروح وأصبح الواجب الشرعي بديلاً عن الواجب النظري»[2] مسبباً أزمة الدين والعلم.

---

* اقتباس أنقله بإذن من صاحبه دكتور فلسفة العلم "محمد دويّر" من صفحته على فيسبوك.

1 أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص166

2 يمنى طريف الخولي، الطبيعيات في علم الكلام، مصر، هنداوي، ص120

أزمة الدين والعلم

عندما لا تُدرك الفوارق الهائلة بين العلم والدين، بين دور العالِم والفقيه، وتختلط الأمور ببعضها، تكون النتيجة هي هذه الأزمة التي عشناها، ومازلنا نعيشها.. هذه الحالة التي أتاحت لعالِم الدين، باحتكاره لتفسير النصوص المقدسة، وبهالة القدسية التي تحيطه، أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة في كل مسألة علمية، مستغلاً لقب "العالِم" Scientist ليتحدث فيما طاب له من علوم الدنيا، من فلك وطب وفيزياء وجيولوجيا وحتى تاريخ واقتصاد، دون تردد أو خجل، وبوثوقية وإطلاقية لا يجرؤ عليها كبار اختصاصيو هذه العلوم أنفسهم، كونه ليس عالماً كغيره من علماء الطبيعة فحسب، بل ويتميز عنهم بأن مصادرهُ تتمتع بعصمة من الخطأ مستمدة من عصمة المصدر الإلهي للقرآن الكريم. فإذا تحدث فليس هو المتحدث بل القرآن، وإذا نوقش أو أُعترِض عليه فالنقاش والاعتراض يتحول إلى القرآن. ليدخل المسلمون في أزمة مشابهة لأزمة الكنيسة المسيحية مع علماء أوروبا.

صراع المسيحيين والعلم

«لمّا تنصرت قياصرة الروم، وحرمت أساقفتهم النظر في العلوم العقلية، قتلوا العلماء، ونفوهم في الأرض، وأبطل القيصر ثيودوس التعليم في رومية، وشتت القيصر زينون شمل علماء الرها، وخرب مدرسة النسطوريين فيها، وأقفل القيصر يوستنيان رواق المشائين من أثينا دار الحكمة ومهد الفلسفة، فكان القرن الرابع وما بعده شؤماً على العلم وأهله» [1] أمّا عالمة الرياضيات والفلسفة والفلك هيباتيا فقد «هجم عليها جماعة من المتعصبين يتزعمهم "قارئ" أي كاتب صغير من موظفي سيريل، وأنزلوها من عربتها، وجروها

1 روحي الخالدي، الكيمياء عند العرب، مؤسسة هنداوي، ص17

إلى إحدى الكنائس، وجردوها من ملابسها، وأخذوا يرجمونها بقطع القرميد حتى قضوا على حياتها، ثم قطعوا جسمها إرباً، ودفنوا ما بقي منها في مرح وحشي شنيع»[1]

وفي القرن الرابع عشر روّع فيزاليوس الكنيسة عندما شرّح جثث الموتى للمرة الأولى، والذي أنقذه من الإضطهاد لفترة ما، هي مكانته عند الإمبراطور شارل الخامس. وبعد وفاة الإمبراطور أتهم فيزاليوس بتقطيع أوصال البشر قبل موتهم، وأُمِر -كتكفير عن خطاياه- بالحج إلى البيت المقدس، فمات المسكين في طريقه إلى هناك. [2]

وطاردت الكنيسة الكاثوليكية الفلكي جوردانو برونو وتآمروا عليه وأودعوه السجن لستة سنوات، ثم جردوه من ثيابه وربطوا لسانه وشدوه إلى خازوق من الحديد فوق ركام من الحطب وأُحرق حياً على مشهد من جمعٍ غفير [3]، ومنعت الكنيسة تدريس نظام كوبرنيكوس الفلكي، وأعلنت بطلانه في جميع المؤسسات العلمية والتعليمية، ولحسن حظه لم يُطبع كتابه إلا وهو على فراش الموت، فنجى جسده من العقاب واكتفوا بتجاهل كل جهوده العظيمة، بل نحتوا على قبره دعاء فيه شيء من الاستصغار له،[4] واستمرت الكنيسة في حظر تدريس دوران الأرض، وتحريم قراءة كتاب كوبرنيكوس (إلا بعد تنقيحه) حتى 1835. وحظرت كتب الفلكي كبلر وقُبض عل والدته بتهمة السحر -وهو البروتستانتي الوَرِع فضلاً عن كونه فلكي الأمبراطور- بسبب مشايعته لآراء كوبرنيكوس، وقطعت عنه مرتبه، ولاقى عنتاً شديداً في الانفاق

1 قصة الحضارة، 12/ 248

2 بيرتراند رسل، أثر العلم في المجتمع، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، ص25

3 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص42، 49. قصة الحضارة، 30/300

4 المرجع السابق، ص36

على أسرته في آخر عمره حتى مرض ومات [1]. وقاوموا مبادئ نيوتن كل المقاومة وهاجموها بنصوص الكتاب المقدس ولعنوه لأنه ”أنزل يد العناية عن عرشها“ [2] وعذبوا الفلكي جاليليو مراراً عديدة رغم شيخوخته (68 عاماً) بأمر البابا لينكر مشايعته لمذهب كوبرنيكوس، وأهينت كرامته ليعترف على رؤوس الأشهاد قائلاً:

«أنا جاليليو، في السبعين من عمري، سجين جاثٍ على ركبتي، وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي، أعلن أني لا أشايع بل ألعن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور» [3]

وثبتت الكنيسة في الفهرس الكنسي أمراً يحرّم ”كل الكتابات التي تثبت دوران الأرض“. لدرجة أن الأب كاكاشيني أعلن ”أن علم الهندسة رجس من عمل الشيطان“ وأن الرياضيين يجب أن يُبعدوا نفياً [4] «وأُتهم كثير من العلماء المخلصين لعلمهم – ومنهم قسطنطين الأفريقي، وجربرت، وألبرتس مجنس، وروجر بيكن، وفنسنت البوفسني بالسحر والاتصال بالشياطين لأن الناس لم يكونوا يصدقون أنهم حصلوا على علمهم بالوسائل الطبيعية.» [5] وحُرّمت الكنيسة حقائق علم الفلك في جامعات أوروبا الكاثوليكية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما حُرّمت الكثير من حقائق الجيولوجيا والبيولوجيا والأنثروبولوجيا في جامعات أمريكا البروتستانتية خلال القرن التاسع عشر [6].

---

1 أنظر: قصة الحضارة، 30/263.

2 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت. ص39، 79

3 المرجع السابق، 54، 55

4 المرجع السابق، ص50، 45

5 قصة الحضارة، 17/166

6 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص80

صراع المسلمين والعلم

ما قد مرّ بعلماء الحضارة الإسلامية لا يقل بشاعةً عن مثل هذه الصورة. فقد «تغلب الفقهاء على رجال العلم، ووضعوهم تحت مراقبتهم، وزجوا بأنفسهم في المسائل العلمية وانتقدوها... وأخذوا يؤولون الكتاب والأحاديث بتأويلات استنبطوا منها أدلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على أن يسيئوا الظن بها، وما زالوا يطعنون على رجال العلم ويرمونهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروه. وانتهى بهم الحال إلى الاعتقاد بأن العلوم جميعها باطلة إلا العلوم الدينية.» [1] في صورة صارخة من الاستبداد الديني المقيت، «فالمستبد لا يخاف من العلوم الدينية المتعلقة بالمَعاد المختصة ما بين الإنسان وربه, لاعتقاده أنها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة, وإنما يتلهّى بها المتهوّسون للعلم حتى إذا ضاع فيها عمرهم, وامتلأت بها أدمغتهم, وأخذ منهم الغرور ما أخذ فصاروا لا يرون علماً غير علمهم, فحينئذ يأمن المستبد منهم كما يؤمَن شر السكران إذا خمر» [2]

كثيراً ما تعرّض الفلكيون المسلمون لاعتراضات الفقهاء عند تفسيرهم لظاهرة طبيعية ورد ذكرها في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، مثل الكسوف والخسوف، منهم الخطيب البغدادي، حيث يقول: «علم كسوف الشمس والقمر متى يكون؟ وفي أي وقت يحدث من الليل والنهار؟ ومقدار ما يكسف من كل واحد منهما، ووقت الانجلاء؟ وهذا علم لا ينفع الله به بوجه من الوجوه، لا يستدل به على أمر من الأمور، وإنما الكسوف شيء قدره الله سبحانه... [وحتى] لو كان النظر في أحكام النجوم يفيد علما صحيحاً، لم

1 قاسم أمين، الأعمال الكاملة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ص494، 495

2 الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، ص66.

يجز لنا استعماله، لأن شريعتنا قد حظرته ونهت عنه» [1] وعرض لذلك الإمام الغزالي قائلاً أن هناك من:

«أنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع، لم يشك في برهانه، ولكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع.. ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام يُنصر بإنكار هذه العلوم، وليس في الشرع تعرّض لهذه العلوم بالنفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرّض للأمور الدينية» [2]

وكلام الغزالي هنا مشابه لعبارة جاليليو التي قالها أثناء محاكمته:

«أن العمليات الطبيعية التي ندركها بالرصد الدقيق أو الملاحظة الدقيقة، أو نستنتجها بالدليل المقنع. لا يمكن دحضها أو تفنيدها بآيات من الكتاب المقدس» [3] لأن «مهمة الكتاب المقدس هي إبلاغنا كيفية الوصول إلى الجنة، وليس تعليمنا كيف تتحرك الأجرام السماوية». [4]

وسبب تلك الاعتراضات هو فتاوى وآراء تكررت على ألسنة وأقلام الفقهاء كقول الفخر الرازي بأن «لا سبيل إلى معرفة صفات السموات إلا بالخبر» [5] أي بما أخبر به القرآن أو النبي فقط. ورأي الكرماني المتوفى عام 876هـ أن «أهل الهيئة [أي الطبيعة]... قواعدهم متقوضة ومقدماتهم ممنوعة» [6]

وأما شيخ الحنابلة البهوتي المتوفى عام 428هـ فيرى أن هنالك «علوم محرمة..

---

1 القول في النجوم، ص168، 172

2 يُنظر: أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص140

3 قصة الحضارة، 30/273

4 تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، غنار سكيربك ونلز غيلجي، ترجمة . حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة ص353

5 تفسير الرازي، 22/141

6 الكواكب الدراري في شرح صحيح البخري، 23/24

كعلم الفلسفة..وعلم الكيمياء، وعلوم الطبائعيين». [1]

نفس هذا التصنيف نجده عند ابن نجيم الفقيه الحنفي المتوفى عام 970 هـ ، فعند حديثه عن العلم يرى أن منه ما هو «حراماً وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبيعيين». [2]

لا ننسى أن تحريم الفقهاء للتنجيم والخيمياء لم يكن مبنياً على نقدٍ علمي، بل كانت تلك النشاطات في زمانها علوماً[3]، مثلها مثل الفلك والكيمياء والأرصاد. وتحريمهم لها كان تحريماً لـ "علوم". كوننا اليوم نعرف أنها لم تكن صحيحة لا يعني أن نقيّم وضع ذلك الزمان وفق ما هو علمي اليوم. فحتى تحريمهم لها يُعتبر وقوفاً ضد "مسيرة" العلم الخطّاءة بطبعها.* وتبرير الخطابي المتوفى عام 388هـ لذلك التحريم بأن:

«علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد ... وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم استأثر الله سبحانه به، لا يعلم الغيب أحد سواه» [4]

هو تبريرٌ يُحرّم أيضاً علم الأرصاد الجوية وإمكانية تحديد نوع الجنين [5]

---

1 كشاف القناع عن متن الإقناع، 3/34

2 الأشباه والنظائر لابن نجيم، دار الكتب العلمية، الطبعة الألى، ص328

3 حتى أن اخوان الصفا قد خصصوا الرسالة الأخيرة بالكامل لهذا العلم وشنّعوا على من يرفضه: الرسالة الحادية عشر في ماهية السحر والعزائم والعين.

* نظر بحث للكاتب حول الموضوع، بعنوان (دور السحر في تاريخ العلم، وعلاقته بالإسلام) نشر لدى موقع مؤسسة "مؤمنون بلا حدود"

4 الخطابي، معالم السنن، (حلب: المطبعة العلمية، ط 1، 1932)، 4/229

5 «دعوى أن زوجاً أو دكتوراً يقوى على أن يحدد نوع الجنين دعوى كاذبة» فتاوى اللجنة الدائمة، 2/172. ويروى أن علي بن أبي طالب قال لمسافر بن عوف بن الأحمر: «هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حَسِبتَ عَلمتَ. قال: من صدقك بهذا القول كذّب القرآن: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام.. «مسند الحارث، 2/612

والاستمطار الصناعي [1] وغيرها من التطبيقات باعتبارها اختصاص إلهي حصراً، وهذا ما قد حدث مؤخراً !

ويظهر تعميم ذلك التحريم في فتاوى ابن تيمية المتوفى سنة728 هـ ، إذ يرى أن «الكيمياء أشد تحريماً من الربا» [2] «والكيمياء من السحر» [3] لأن «حقيقة الكيمياء تشبيه المصنوع بالمخلوق وهو باطل في العقل» [4]، ولحقه في ذلك ابن القيم فقال «صناعة الكيمياء عند التحقيق زغل وصبغة لا غير وقد ذكرنا بطلانها وبيّنا فسادها من أربعين وجهاً في رسالة مفردة» [5] ولأن «علم الكيمياء ليس علم منفصل عن غيره من العلوم، بل لعله العلم الوحيد الذي له علاقة بكل العلوم الأخرى، كالزراعة والطب والفلك والنبات والحيوان والهندسة بفروعها والمعادن والألبسة والصناعات المختلفة» [6] انعكس تحريمها سلباً على كل هذه العلوم الطبيعية.

وعن علم الجبر وعلاقته ببعض المسائل الشرعية يقول ابن تيمية: «إن كان حساب الجبر والمقابلة صحيحاً فنحن قد بينا أن شريعة الإسلام ومعرفتها ليست موقوفة على شيء يُتعلم من غير المسلمين أصلاً» [7] و «إن كلامهم في الطبيعيات والرياضيات لا يفيد كمال النفس وصلاحها وإنما يحصل ذلك بالعلم الإلهي» [8]

---

1 صحيفة الرياض: الثلاثاء 15 يوليو2008، العدد 14631، "الاستمطار الصناعي لا يجوز شرعاً"

2 مجموع الفتاوى، 29/374

3 مختصر الفتاوى المصرية، ص329

4 مختصر الفتاوى المصرية، بدر الدين البعلي (مطبعة السنة المحمدية، 2012) ص327.

5 ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، 1/222

6 الكيمياء عند العرب، طارق إسماعيل كاخيا، المركز الثقافي بحمص، ص42

7 مجموع الفتاوى، 9/215. استغناء ابن تيمية هذا يرد على ادعاء اهتمام الدين ببعض علم لفلك لحاجة الإسلام إليه لتحديد المواقيت وتحديد القِبلة.

8 مجموع الفتاوى، 7/587

ونجد الشيخ الدردير في شرحه الكبير يقول أن: « لا فلسفة، وهيئة [طبيعة] ، ولا منطق» [1] وكذلك زكريا الأنصاري حيث يعتبر «الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبائعيين والسحر حرام. [2]

ونَقل البغدادي إمام الشافعية المتوفى عام 428هـ عن العلماء أنهم «أَجْمعُوا على أَن الأرض متناهية الْأَطْرَاف من الْجِهَات كلهَا» [3]. وكذلك ذكر المازندراني بأن «اعتقاد أن الأرض ساكنة عليه جُلّ القدماء». [4]

ويذكُر الغزالي أنك قد «ترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب». [5] «وحتى علم الحساب والمنطق الذي ليس فيه تعرض للمذاهب بنفي ولا إثبات إذا قيل أنه من علوم الفلاسفة الملحدين، نفر طباع أهل الدين عنه». [6]

ثم نجد الغزالي نفسه واحداً من هؤلاء الذين ينتقدهم فيقول: «النظر في علم اقليدس والمجسطي ودقائق الحساب والهندسة والرياضة بها تشحذ الخاطر وتقوى النفس ونحن نمنع منها لآلفة واحدة وهي أنها من مقدمات علم الأوائل ولهم مذاهب فاسدة وراءها» ثم يبرر لنفسه: «وان لم يكن في نفس علم الهندسة والحساب مذهب فاسد متعلق بالدين ولكن نخاف منه الإنجرار» [7]

لم تقتصر هذه الدعوات على الفقهاء فحسب، بل جاءت أيضاً من قِبَل أعلام الفكر والعلم والتحرر، الذين عانوا بأنفسهم ويلات التكفير، مما يدل على تغلغل الخلط الديني العلمي عندنا، كالجاحظ، أحد أئمة المعتزلة، الذي دفعت اعتراضاته على الطب، الطبيب الكبير الرازي لتأليف كتاب بعنوان «الرد على

---

1 الشرح الكبير للشيخ الدردير، 2/ 174

2 أسنى المطلب في شرح روض الطالب، 4/182

3 عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص318

4 مولي محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 1، ص 17، هامش 1

5 الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 52

6 الغزالي، معيار العلم في المنطق، ص200

7 الغزالي، فاتحة العلم، (المطبعة الحسنية المصرية) ص56

الجاحظ في نقض الطب» [1]. ومن بعده قال الإمام الباقلاني «أن الواجب.. أن يكون العلم بأصل الطب موقوفاً عليه ومأخوذاً من جهة الرسل عليهم السلام.. وعلى هذا أكثر الأمة» [2]

«وقد كانت شعوب الشرق الأدنى تنفر من تشريح الإنسان، وتعدّه مُثلة وإهانة للمتوفى. وعملًا مخالفًا لأحكام الدين، ولذلك نهت عنه» [3] ومن ذلك ما أصاب زياد بن أبيه (القائد الأموي) من طاعون في يده فأشار إليه الأطباء بقطعها، فاستشار القاضي شُريح في ذلك، فاعترض شُريح وقال « إن كانت لك مدة تعيش بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربّك مقطوع اليد، فإذا قال لك: لم قطعتها؟ قلت: بغضا للقائك، وفرارا من قضائك» [4] فلم يقطعها ومات زياد من يومه!

وابن خلدون، مؤسس علم الاجتماع، يفاجئنا في مقدمته الشهيرة بفصلٍ كامل بعنوان «في إنكار ثمرة الكيميا واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها» [5] وهو رغم استعراضه لهذه العلوم و»ما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها» [6] عاد في نهاية كتابه ليقول: « إلا أنه ينبغي لنا الإعراض عن النظر فيها إذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه فإن مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا

1 ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ص362

2 القاضي أبو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط 1، ص 153

3 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 8/412 ؛ وأنظر شكوى يوحنا بن ماسويه منع الخليفة للتشريح (القفطي، إخبار العلماء، ص 289) ؛ ومن الحقائق بهذا الشأن أنه برغم تطور الطب الهندي، فقد كان محرماً عليهم استخدام المباضع، ولذلك كانت دراسة التشريح تجري على جثث تُغرق في الماء أياماً عدة حتى يمكن اقتطاع أجزائها بمجرد الشد. وأعطاهم ذلك فكرة جيدة عن تركيب العظام والعضلات، لكن فكرتهم عن الأعضاء اللينة كانت ضعيفة لأنها تتحلل. (إبداعات النار، كاتي كوب، وهارلد وايت، ص60)

4 شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، 1986، 1/ 332

5 مقدمة ابن خلدون، ص719

6 مقدمة ابن خلدون، ص632

معاشنا فوجب علينا تركها» [1]!

وهذا التذبذب نجد أصلهُ عند الغزالي حين أنكر على من يردون العلم بالدين قائلاً «فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابيَّة لا يبقى معها ريبة» [2] ثم عاد للقول أن «علومهم في الطبيعيات لا حاجة إليها» [3] وذلك بعد عامٍ واحد فقط! في تجلٍ واضح لازدواجية الفكر الإسلامي. أو ربما مرد هذا التناقض الفج عند الغزالي بالذات، هو الأزمة النفسية الشديدة التي اعترته في نفس العام، كونه كتب الكتاب الأول وهو بقمة زهوّة الفلسفي وأستاذيته في "النظامية". بينما كتب الثاني وهو مشرّد مع المتصوفة، عازفٌ عن العلوم العقلية. ليعود في آخر حياته ويضمّن الرأي الأول كتابه "المنقذ من الضلال".

بالطبع انــتــقلت هذه الآراء من طور النظرية إلى التطبيق، ليتم حرق الكثير من مؤلفات علوم الأوائل، فقد قام الحاجب المنصور بن أبي عامر بأكبر عملية حرق للكتب حيث «عمد إلى خزائن الكتب [وكان فيها أربعمئة ألف كتاب] بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة... فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيّل عليها التراب» [4]

هكذا كانت معانات علماء وعباقرة المسلمين الذين تكتظ مكتباتنا وموسوعاتنا بأمجادهم اليوم، بينما يحفظ لنا التاريخ والواقع مآسٍ تجرعوها بسبب النظرة العلمية للنصوص الدينية وعرقلتها للعلماء وللبحث العلمي، وهذه قائمة بأشهر علماء الحضارة الإسلامية، كانت ستمتد لتشمل فلاسفة وأدباء

---

1 مقدمة ابن خلدون، 710

2 أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، المقدمة الثانية، ص80

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/14

4 طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، ص66. وأنظر في ذلك كتاب: حرق الكتب في التراث العربي لناصر الحزيمي.

ومؤرخين تم قتلهم أو تكفيرهم لأسباب دينية، ولكننا نكتفي بمن حُورِبوا بسبب النظرية العلمية للدين* وما قيل عنهم وما تعرضوا له من تكفير وقمع:

1 - **جابر بن حيان**: (عالم في الكيمياء والفلك والهندسة والمعادن والفلسفة والطب والصيدلة، يُعرف في الغرب باسم Geber) أتهم بالسحر والشعوذة، ولوحِق، قال عنه ابن تيمية: وأما جابر بن حيان صاحب المصنفات المشهورة عند الكيماوية فمجهول لا يعرف وليس له ذكر بين أهل العلم ولا بين أهل الدين.[1] وعتبره ًابن خلدون "كبير سحرة هذه الملة" [2]

2 - **محمد بن موسى الخوارزمي**: (عالم رياضيات كبير، مطوّر علم الجبر وعلم اللوغاريتم، وفلكي وجغرافي، يُعرف في الغرب باسم Algorithmi)، أُتهم بالتنجيم.[3]

3 - **ابن رشد** : (فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضٍ وفلكي وفيزيائي، عرف في الغرب باسم Averroes) أتهم أنه فيلسوف ضال ملحد انتصر للفلاسفة

* علماً أن الفصل بين الفلسفة والطبيعيات لم يكن واضحاً حينها، فأغلب مسائل العلوم المسماة فيزيائية أو كيميائية أو أحيائية اليوم، كانت تُناقش ضمن إطار الفلسفة، (يقول ابن خلدون: أصول العلوم الفلسفية سبعة وهي: المنطق ثم الرياضيات ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الإلهيات. (مقدمة ابن خلدون ص630) واستمر ذلك إلى فترة قريبة، حتى أن كتاب نيوتن الأشهر كان عنوانه "الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية" رغم كونه كتاب في الفيزياء وليس في الفلسفة. فتكفير هؤلاء الفلاسفة، وتحريم الفلسفة، هو تحريمٌ نال من علوم الطبيعة بالتبعية. رغم محاولة الغزالي الفصل بين ما هو "حرام" من الفلسفة عما هو "حلال" منها.

1 مجموع فتاوى ابن تيمية، 29/374

2 مقدمة ابن خلدون، ص633، 655

3 ابن كثير، البداية والنهاية، 10/ 308، 309

الملاحدة، تمت محاكمته وأحرقت مكتبته الضخمة ومات محبوساً بداره.[1]

4 - **ابن سينا** : (أمير الأطباء، الشيخ الرئيس و المعلم الثالث، فيلسوف وعالم طبيعة وأبو الطب الحديث، يُعرف في الغرب باسم Avicenna) أتهم أنه إمام الملاحدة، فلسفي النحلة، ضال مضل، من القرامطة الباطنية، كافر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.[2] ومات في السجن. [3]

5 - **أبو بكر الرازي**: (عالم وطبيب كبير، ألف أكثر من مئتي كتاب في الطب، ما بين موسوعات ضخمة ورسائل صغيرة، يُعرف في الغرب بـ Rhazes) يوصف بأنه من كبار الزنادقة ويفوق كفر الفلاسفة.[4] ، ضرب على رأسه بكتبه حتى انفجرت عيناه وفقد البصر. [5]

6 - **الكندي**: (فلكي وفيلسوف وكيميائي وفيزيائي وطبيب ورياضي وموسيقي وعالم نفس ومنطق، يُعرف في الغرب باسم Alkindus) مُنعت كتبه و عُذب و اتهم بالزندقة ومات منعزلاً في بيته.[6]

7 - **ابن طفيل**: (فيلسوف وطبيب ورجل دولة وأديب ورياضي وفلكي)

---

1 سير أعلام النبلاء: 21/307. درء التعارض: 1/ 11، 127، 152.

2 المنقذ من الضلال ص98. البداية والنهاية 12/43. سير أعلام النبلاء 539-1/531. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 2/196

3 وفيات الأعيان، 2/ 162

4 در التعارض 9/346. مع منهاج السنة 1/209. مجموع الفتاوى 6/304. تثبيت دلائل النبوة 2/ 623.

5 العرب ضد العالم، أمين المهدي، العربية للنشر، ص 93؛ الإسلام والعلم: الأصولية الدينية ومعركة العقلانية، برويز أمير علي بهائي، ص237

6 مقدمة ابن خلدون ص 331. مجموع الفتاوي لإبن تيمية 9/186

وصف أنه من أئمة ملاحدة عصره من الفلاسفة يقول بقدم العالم وغير ذلك من أقوال الملاحدة.[1]

8 - **ابن النفيس**: (طبيب كبير، وعالم فلك وحساب ومنطق، ومكتشف الدورة الدموية الصغرى) أتهم أنه كافر يلعب بأجساد الموتى. [2]

9 - **ابن الهيثم**:(رياضي وعالم بصريات وفيزيائي وفلكي وعالم هندسة وطب عيون وفيلسوف ومؤسس المنهج العلمي، يعرف في الغرب باسم Alhazen)، أتهم بالإلحاد، وطورد فادعى الجنون ليتجنب القتل لكنه لم ينجُ من السجن حتى مات فيه، ويعتبر من أقران ابن سينا سفهاً وضلالاً وزندقة.[3]

10 - **عباس بن فرناس**: (مخترع موسوعي وشاعر وموسيقي ورياضي وفلكي وكيميائي، يعرف في الغرب باسم Armen Firman) أتهم أنه فيلسوف موسيقي مغنٍ منجم نسب إليه السحر والكيمياء وأتهم بالزندقة، وتمت محاكمته في المسجد الجامع.[4]

11 - **الطوسي**: (فلكي وبيولوجي وكيميائي ورياضي وفيلسوف وطبيب

---

1 درء التعارض 1/11، 6/56

2 تقدم العرب بكل العلوم الطبية ما عدا الجراحة. ذلك أن الدناسة التي تصيب من يلمس جثث الموتى قد عاقت تقدم الجراحة. (علوم اليونان وسبل إنتقالها إلى العرب، دي لاسي اوليري، مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص6)

3 درء التعارض 2/281 . في تاريخ الفلاسفة، ص270. فتاوى شيخ الإسلام 35/135

4 المقتبس من أهل الأندلس ص279. نفح الطيب 4/348. المغـرب في حلي المغرب، 1/333. محمد عبدالله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، ص269.

وفيزيائي) أتهم أنه نصير الكفر والشرك والإلحاد فيلسوف ملحد ضال.[1]

12 - **البيروني**: (رحالة وفيلسوف وفلكي وجغرافي وجيولوجي ورياضي وصيدلي ومؤرخ ومترجم) تمّ تكفيره بعدما ناقش مسألة تكوين مرصد للتنبّؤ بأحوال الطقس؛ لأن ذلك من اختصاص الله وحده، كما سجن ستة أشهر. [2]

13 - **لسان الدين الخطيب**: (شاعر وفقيه ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي) قطعوا لسانه وأحرقوا جثته[3]

14 - **أبو الفرج الأصفهاني**: (أديب ومؤرخ ونساب وطبيب وفلكي) أتهم بالإلحاد[4]

15 - **الفارابي**: (فيلسوف وطبيب، يُعرف في الغرب باسم Alpharabius) يعتبر أكثر العلماء كفر وزندقة[5]

16 - **ابن باجة**: (فيلسوف ورياضي وفلكي وطبيب وأديب وموسيقي، يُعرف عند الغرب: آفيمبس Avempace) أتهم بالكفر والإلحاد وتوفي مسموماً[6]

---

1 درء التعارض 67/5. البداية والنهاية 267/13. إغاثة اللهفان 601/2. اجتماع الجيوش الإسلامية، 95/2.

2 يحيى شامي، تاريخ التنجيم عند العرب، ص236

3 الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، مقدمة المحقق محمد عبد الله عنان

4 السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، وليد الأعظمي. البداية والنهاية، 263/11.

5 مفتاح دار السعادة 119/2. البداية والنهاية 224/11. الفتاوى 86/2، 99/4، 57/11، 572. إغاثة اللهفان 601/2 وما بعدها. المنقذ من الضلال ص98.

6 ناصر بن حمد الفهد، حقيقية الحضارة الإسلامية ص19. وفيات الأعيان 431/4. نفح الطيب 7/ 18.

17 - **اسحاق بن عمران**: (طبيب وفيلسوف وصيدلي بارع) أهين وسُجِن، ثم قطعت ذراعاه وسال منهما الدم حتى مات، ثم صلب مكان أحد الملحدين، وظل مصلوباً حتى عشش صقر في جوفه ولحيته[1]

18 - **المجريطي**: (فلكي وكيميائي ورياضي، عرف في الغرب باسم Me-thilem) أتهم بالسحر والشعوذة والدجَل.[2]

19 - **عمر الخيام**: (شاعر ورياضي وفلكي ولغوي وفقيه ومؤرخ) أتهم بالمجون والزندقة والإلحاد.[3]

20 - **محمد بن الشاكر**: (مؤرخ وكاتب)، أتهم أنه فيلسوف زنديق اشتغل بالموسيقى والتنجيم، من الذين ترجموا كتب اليونان، وأبوه موسى بن شاكر وأخواه أحمد والحسن منجمون فلاسفة أيضاً.[4]

21 - **محمد بن مسكويه**: (فيلسوف مؤرخ وكيميائي وشاعر)، أتهم بالكفر والضلال.[5]

22 - **ابن البناء**: (رياضي وفلكي وطبيب) أتهم بالسحر والتنجيم.[6]

1 طبقات الأطباء لابن جلجل، ص85

2 مقدمة ابن خلدون، ص496، 504، 513

3 الأعلام للزركلي، 5/39

4 سير أعلام الأعلام: 7/117

5 تـاريخ الفلاسفة المسلمين، ص304

6 مقدمة ابن خلدون، ص643

صراع يتجدد

قد نجد ما يبرر لهؤلاء للفقهاء رفض تلك العلوم في زمانهم رغم صعوبة ذلك، إذ يتحملون مسؤولية كبيرة عن أفول الحركة العلمية والحضارة الإسلامية ككل [1]..

أقول قد يكون هناك باب للعذر كما فعل السَّكَّاكي في القرن السادس الهجري، واعتبر تحريمهم للعلوم والفلسفة من قبيل أن «المرء عدو لما جهله» ثم التمس لهم العذر فقال «ولعل المراد من منع الأئمة عن تعليم بعض العلوم وتعلمه تخليص أصحاب العقول القاصرة من تضييع العمر وتوزيبه بلا فائدة» [2]

لكن ما لا يمكن السكوت عنه هو استمرار مثل هذه الدعوات ومحاربة العلم إلى يومنا هذا. فقد لعب رفض المسلمين الطباعة في الدولة العثمانية دوراً كبيراً في تخلف الدول الإسلامية عن ركب الحضارة المتسارع، حيث ظهرت الطباعة في أوروبا منتصف القرن الرابع عشر، وراجت المطبوعات بين المسيحيين العرب، لكن قبول المسلمين لها تأخر حتى مجيئ السياسي "إبراهيم متفرقة" (مسيحي سابق) وبذل جهده في إقناع السلطة العثمانية بفائدة المطبعة وضرورة تأسيسها، وكتب رسالته بهذا الشأن بعنوان "وسيلة الطباعة" Vesilet-üt-Tıbâa؛ فتأسست بناء على دعواته المطبعة بشكل رسمي عام 1727. [3] [ومن المعيب أن الأمر ذاته تكرر في 2018 بعد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب ولكن مع الطابعة الثلاثية الأبعاد، بحجة أنها قد تُستخدم لصناعة الأصنام

1 الإسلام والعلم: الأصولية الدينية ومعركة العقلانية، برويز أمير علي بهائي، ص226-210

2 السكاكي، أبجد العلوم، (دار ابن حزم، ط1، 2002) ص49

3 وحيد بن الطاهر قدورة، تاريخ الطباعة العربية في إستانبول وبلاد الشام، ط2، (الرياض: مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، 2010)، ص99

المحرمة!] [1]

وبعد أن بلغت معرفة البشرية أعماق البحار وغزت مركباتها أجرام السماء، نجد الشيخ حمود التويجري في منتصف القرن العشرين يكتب أن: «قول الجغرافيين في الشمس والأرض، دائرٌ بين افتراء الكذب، والتكذيب بالحق. فقد ثبت بالدليل العقلي أن الأرض قارّة ساكنة لا تدور، ولا تفارق موضعها أبدا» [2]

واعتبر القول بغير ذلك من «كفريات الجغرافيين» [3]

والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الإفتاء في السعودية سابقاً، حيث كتب في رسالة إلى الداعية عبد البديع صقر قائلاً:

«وأفيدكم أنني أرى ترك التعليم فيما يتعلق بكروية الأرض وأوجُه القمر، لأمرين: الأول أن هذا لا منفعة فيه، الثاني: أن في ذلك من تشويش عقائد الناس.» [4]

تماماً كما قال كل من الأسقف إيوسبيوس القيصري: «إننا لا يجب أن نفكر في مثل هذه الأشياء، لا لأننا نجهلها، بل لأننا نزدري عملاً تذهب نتائجه سدى». وأشار الأب لاكتانتيوس الإفريقي إلى فكرة الذين يشتغلون أنفسهم بعلم الفلك فقال بأنها فكرة «مرذولة معدومة النفع، بعيدة عن الذوق» رافضاً القول بكروية الأرض مستنداً إلى التوراة والعقل معاً. [5]

و يواصل محمد آل شيخ:

«أفيدكم أن ما يذكره أهل الجغرافيا أبطل الأباطل... الذي يقول أن الشمس لا تجري كافرٌ كفراً ينقل عن الملة لمخالفته القرآن... وأما دوران الأرض وبحثهم

1 روسيا اليوم: الكويت.. إغلاق محل يبيع منتجات طابعة "ثلاثية الأبعاد" بدعوى أنها "أصنام" تاريخ النشر:17.09.2018. (arabic.rt.com)

2 حمود التويجري، غربة الإسلام، 1/365

3 المرجع السابق، ص366

4 فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، باب علم الجغرافيا وتدريسه.

5 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص85

في الشمس والقمر المقرون بالبحث في دوران الأرض فباطل، لمخالفته لظواهر النصوص.» [1]

في تناصٍ شبه حرفي لتقرير مجمع الفهرست الكنسي بأن «دوران الأرض المزدوج حول نفسها وحول الشمس باطل، ومناقض لنصوص الكتاب المقدس» [2]

وفتوى ابن باز بتكفير «من قال إن الشمس ثابتة غير جارية؛ لأن هذا القول مصادم لصريح القرآن الكريم» [3] تذكرنا أيضاً باعتراض مارتن لوثر على ادعاء جاليليو في دوران الشمس بأن: «نصوص الكتاب المقدس تدل على أن "يوشع" قد أمر الشمس أن تقف وليس الأرض» [4]. ولئن كانت الكنيسة قد استتابت جاليليو عن رأيه، فان ابن باز كذلك يطالب باستتابة القائل بثبوت الشمس وإلا فهو حلال الدم [5]. فصراع العلم والدين المسيحي نفسه حاضر في السياق الإسلامي حذو النعل بالنعل.

وسأل أحدهم الشيخ ابن عثيمين قائلاً: «عندنا في مادة العلوم في الصف السادس الابتدائي درس عن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، فهل ورد في كتاب أو سنة ما يثبت هذا؟» فأجاب:

«الشمس هي التي تدور على الأرض وأن اختلاف الليل والنهار يكون بالشمس بجريانها حول الأرض، هذا الذي أعتقده؛ لأنه ظاهر كلام الله» [6] «وقد استدل بعض العلماء .. على أن الأرض ليست كروية بل سطح ممتد» [7] «الشمس هي التي تدور على الأرض، فيأتي النهار بدل الليل، لقوله: ﴿تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ﴾

1 فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، باب علم الجغرافيا وتدريسه.

2 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص50

3 مجموع فتاوى ابن باز، 9/228

4 بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص38

5 مجموع فتاوى ابن باز، 3/157. الأدلة النقلية والحسية ....، ص22

6 لقاء الباب المفتوح، 61/21

7 تفسير العثيمين: جزء عم، تفسير سورة الغشاية، ص179

وهذا واضح أن الحركة حركة الشمس)» [1] و«اختلاف الليل والنهار يكون بدوران الأرض لا بدوران الشمس» [2]

ويخاطِب ابن عثيمين «من أُسنِد إليه تدريس مادة الجغرافيا، [أن] يبين للطلبة أن القرآن الكريم والسنة كلاهما يدل بظاهره على أن تعاقب الليل والنهار، إنما يكون بدوران الشمس على الأرض لا بالعكس. فإذا قال الطالب: أيهما نأخذ به أظاهر الكتاب والسنة أم ما يدعيه هؤلاء الذين يزعمون أن هذه من الأمور اليقينيات؟ فجوابه: أنّا نأخذ بظاهر الكتاب والسنة» [3] «ولا ينطق بمثل هذه الأمور إلا بوحي من الله عز وجل لأنه لا مجال لتلقيها من غير الوحي» [4]

وقد سألَ مدرس جغرافيا الشيخ عبد الكريم الخضير قائلاً: «إذا ترجّح لدي أن الأرض لا تدور، ومُطالبٌ بتدريس الطلاب المناهج الدراسية، وفيها أن الأرض تدور، فهل عليَّ إثم؟» فأجاب: «عليك أن تجمع الأدلة على رسوِّ الأرض وإرساء الأرض بالجبال، وتجمع ما قاله أهل العلم هذا وتقرره للطلاب» [5]

أما عبد المجيد الوعلان، في رسالته للماجستير التي أشرف عليها د/عبد الكريم الحميدي، فيورد حديثاً نبوياً ثم يقول: «وهذا الحديث الصحيح من أقوى الأدلة على أن الأرض ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبداً. [6]»

ويقول الشيخ صالح الفوزان في تسجيل شهير له:

«لاشك عندنا ولا عند المؤمنين في ذلك ...أن الأرض ثابتة, وأن الشمس تدور عليها، وأما الفكرة الغربية والفكرة العقلية البشرية فهي على العكس. يقولون:

---

1 شرح الأربعين النووية للعثيمين، ص263

2 المرجع السابق، ص265

3 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، 1/72

4 إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار، ص58

5 شرح سنن الترمذي - عبدالكريم الخضير، 27/6

6 الآيات الكونية دراسة عقدية، ص390

لا، الأرض تدور والشمس ثابتة هذا عكس ما في القرآن.» [1]

يؤكد على كلامه الشيخ بندر الخيبري في أحد دروسه في 2015 لينكر دوران الشمس والصعود للقمر وأن الشمس تدور حول الأرض، في تسجيلٍ وجدَ الإعلام الغربي فيه مادة دسمة للسخرية.
وفي تسجيل آخر يرد مفتي السعودية الحالي عبد العزيز آل الشيخ على اتصال أحد المشاهدين، يشكوه عدم إقرار الطلاب له بثبات الأرض ودوران الشمس حولها رغم ذكره لنصوص من القرآن والسنة ومن كلام ابن عثيمين، فنصحهم المفتي بأن: «المؤمن يؤمن بما دلّ القرآن عليه ويدع التعمّق والتكلّف فالنص صريح بجريانها» [2]
أما الشيخ ابن باز فيقول:
«هذا الذي نقلناه من كلام أهل العلم، أن الأرض ثابتة وساكنة... أما ما يقوله الناس اليوم وينسبونه إلى الرياضيين أو الفلكيين من دوران الأرض فهذا قول لا أصل له، ولا دليل عليه، وإنما هي خرافة وظنون ليس لها دليل» [3]
ويحذّر الشيخ المودودي في إحدى محاضراته أن الجغرافيا والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا والاقتصاد، تُدرّس بدون مرجعية دينية، وعليه فهي مصدر للشطط والانحراف عن الحق. [4]
ويقول الشيخ الشعراوي في لقاء تلفزيوني عن زرع الأعضاء، بلهجته العامية بما معناه:
«الله هو من يملك السمع والأبصار، وليست ملك صاحبها حتى يبيعها أو

1 في أكثر من تسجيل له على موقع يوتيوب
2 برنامج: مع سماحة المفتي، قناة المجد الفضائية
3 دروس للشيخ عبد العزيز بن باز، 2/18
4 Abul Ala Maudoodu, Taalimat (Lahore,IslamicPublishers,N.d) p20

يتبرع بها.. البعض يقول لو لم نغسل لأحدهم الكلى سيموت، فليموت، أم ستمنعون الموت؟! لماذا تُبعدون عنه لقاء ربه؟!»

ويوافقه الرأي في 2018 الشيخ الدكتور أحمد كريمة، أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر.

ومما يُذكر بهذا الصدد أن منظمة الصحة العالمية في 1977 أعلنت عن تخلّص البشرية من مرض الجدري وكانت تطمح للتخلص من شلل الأطفال في 2003 بعد حصاره واختفائه في أغلب دول العالم.. لولا تحريض الشيوخ المسلمين في مقاطعات شمال نيجيريا وبالأخص في مقاطعة "كانو" ضد التطعيم، فانتشر المرض بعدها ثانيةً في 11 دولة من بينها السودان ومصر والسعودية وباكستان.[1] [وبعد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب تكرر الأمر في 2018 حيث أفتى مشايخ أندونيسيا بوجود مشتقات خنزير في لقاح الحصبة والحصبة الألمانية ولا بأس باستخدامه من باب أن الضروريات تبيح المحظورات. ولكن كما وهو متوقع قاطع المسلمون اللقاح بنسبة 93% في بعض المناطق، تجنباً لشبهة المعصية][2]

وكتب الشيخ ابن باز في عام 1980 كتاباً كاملاً بعنوان (الأدلة النقلية والحسية على إمكان صعود الكواكب، وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض) كفّر فيه «القول بثبوت الشمس[3]» وأهدر دم قائله[4]«بعد استتابته، وما ذلك إلا لأن إنكار جري الشمس تكذيب لله سبحانه وتكذيب لكتابه» [5]

---

1 موقع "عربي21": نيجيريا جي بي أس لمراقبة التلقيح ضد شلل الأطفال. تاريخ النشر: 26 نوفمبر 2013

2 sciencealert.com : There's Now a 'Vaccine Fatwa' in Indonesia, And Guess What's Happening. by MIKE MCRAE 8 NOV 2018

3 الأدلة النقلية والحسية على إمكان صعود الكواكب، وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض، ص17

4 مجموع فتاوى ابن باز، 3/157. الأدلة النقلية والحسية ...، ص22

5 الأدلة النقلية والحسية على إمكان صعود الكواكب، وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض، ص17

وأكد ابن باز أن «الأدلة النقلية والحسية دالة على جريان الشمس جرياناً مطلقاً وسكون الأرض واستقرارها، وبطلان قول من قال بخلاف ذلك» [1] «وأن الأرض ثابتة قارّة، قد بسطها الله لعباده وجعلها لهم فراشاً ومهداً» [2] وأن «القول بأن الشمس ثابتة وجارية حول نفسها في آن واحد كما يقوله الكثير من علماء الهيئة، قول باطل. والقول بدوران الأرض اليومي والسنوي كله باطل» [3]

أما الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد فبعد أن ألّف كتاباً كاملاً في سكون الأرض [4]، كتب كتاباً آخر في 2002 بعنوان (الفرقان في بيان إعجاز القرآن) ينكر فيه وجود الذرات والجاذبية، ودوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس وتعاقب الليل والنهار على بقية الكواكب والوصول للقمر وزوجية النبات ويدعي أن «الأرض هي مركز الكون وحولها تدور الشمس والقمر والنجوم» وينكر وجود المجموعة الشمسية كلها! [5]

وانظمَّ إليهم في عام 2008 الشيخ محمد الإمام أحد كبار مشايخ السلفية في اليمن، بكتابه الضخم (نقض النظريات الكونية) الذي ادّعى فيه أن الأرض هي مركز الكون، وأنها كروية وليست بيضاوية، وأنها ثابتة، والشمس تدور حولها، وأن الشمس أصغر من الأرض، وأنكر وجود الذرات، والمجرات، والمذنبات والنيازك، والجاذبية، وتمدد الكون وعمره، وأنكر سرعة الضوء، والمد والجزر، والصعود إلى القمر أو الفضاء، والكثير من الحقائق العلمية الأخرى

---

1 الأدلة النقلية والحسية ...، ص18

2 المرجع السابق، ص21

3 المرجع السابق، ص72، 73

4 بعنوان: هداية الحيران في مسألة الدوران

5 الفرقان في بيان إعجاز القرآن، الصفحات: 87، 88، 8، 9، 11، 39، 120، 31، 386، 336، 317، 13، 236

التي لا خلاف عليها.. [1]

ويحضرنا في خضم هذا الحال المزري ندب اخوان الصفا لِما حدث في زمانهم (القرن الثالث الهجري) حينما كان الفقهاء يُحاربون العلوم ويتهمون أصحابها بأبشع التهم «وأن أهلها ملحدون، ويدّعون عليهم المحالات ويحكون عنهم الخرافات ويوردون تلك الاعتقادات الفاسدة والمذاهب الرديئة بفصيح العبارات، ويبينون عنها بأوضح الاحتجاجات. ويكتبونها بأصحّ الخطوط وأجود ورق، ينسبونها إلى أقوام قد عُرفوا بالعلم والحكمة وجودة الرأي وصحة التمييز، على سبيل الشّنعة عليهم والوقيعة بهم، بسخيف الرأي، ويَسِمونها الأحداث [أي يعلمونها الأطفال]، ويصورونها في قلوبهم، ويمكّنون في نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والمذاهب الرديئة، ويحيّرونهم ويشتّتونهم في الحقائق. ومع هذه البليّة كلها يدّعون أنهم بهذا الفعل ينصرون الإسلام ويقرّون الدين ! وإلى يومنا هذا ما روي أن يهوديّاً تاب على يد واحد منهم، ولا نصرانيّاً أسلم، ولا مجوسيّاً آمن بآرائهم، متمسّكين باعتقاداتهم محتفظين، بل يزدادون باعتقادهم ومذاهبهم احتفاظاً، إذا نظروا إلى هؤلاء ... فلا هم يتعلمون ولا يتركون غيرهم يتعلم» [2]. فما أشبه اليوم بالأمس!

قد يبدو في هذه التنويعة من الفتاوى تحاملاً، وانتقاءً لكل ما هو متطرف من آراء قد عفا عليها الزمن لا يُقام لها وزن اليوم -والواقع لمن عاينه عن قرب غير ذلك- إلا أننا لو انتظرنا من "الزمن" تجاوز مشكلاتنا الفكرية، كما تجاوزنا مرحلة تحريم تلك العلوم، فأن الزمن سيتجاوزها ولن يحلها، ولكن بعد أن نكون قد تخلّفنا أزمنة عديدة، وفاتــتــنا فرصة الانتفاع وخدمة أنفسنا والبشرية بهذه

1 نقض النظريات الكونية، الصفحات: 90، 145، 331، 266، 145، 154، 149، 79، 96، 220، 100، 211، 90، 107، 139، 147، 329، 177، 226

2 رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، (مركز النشر - مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1705 هـ) 3/ 536، 537

العلوم. فلم يكن الدين يوماً دافعاً للعلم بل أن الفقهاء وخصوصاً العرب منهم جعلوا الدين معرقلاً للعلم الطبيعي. والحقيقة أن حضارتنا الإسلامية حتى حين ازدهرت علمياً كان ذلك في فترة انحلال ديني وأخلاقي وانتشار لدعوات التجديف والزندقة، إن لم تكن هذه الدعوات هي أصلاً سبب التقدم العلمي. إذ يرى د.زكي نجيب محمود أن نبش تراث اليونان والحضارات العريقة وتطوير العلوم الطبيعية إنما حمل لواءه الزنادقة المهرطقون كردة فعل ضد تعصب العرب لدينهم وعِرقهم[1]. وفصّل هذه النظرية المستشرق ديمتري غوتاس في كتاب (الفكر اليوناني والثقافة العربية) [2] وسبقهم في هذه الرأي ابن خلدون حيث قال أن:

حمَلَة العلم في الإسلام أكثرهم عجم إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي في لغته ومرباه... فالعلوم حضرية والعرب أبعد الناس عنها وعن سوقها، والحضر لذلك العهد هم العجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف؛ لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس... أمّا العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة، فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دُفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم. مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع، ويحتقرون حملتها كل الاحتقار... أمّا العلوم العقلية فلم تظهر في الملة إلا بعد أن استقر العلم كله صناعة، فأختُصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها إلا المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً. فلم يزل ذلك في الأمصار الإسلامية ما دامت الحضارة في العجم. [3]

---

1 أنظر: زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص152، 153. وكتاب المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ص106.

2 نشره مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بترجمة نقولا زيادة، عام 2003.

3 مقدمة ابن خلدون، ص748، 749

«كان العرب في صدر الإسلام يستنكفون من تعلم الحساب، لأنه شأن عمال الخراج أهل الذمة والموالي، وكانوا يقتصرون على العمل بوصية عمر بتعليم أولادهم الشعر والفروسية والسباحة» [1] وكان الصحابة والتابعين مقاومين للتدوين والكتابة مفضلين للحفظ عن التدوين [2] ويروي القرطبي عن ابن عباس «أنه كان ينهى عن كتابة العلم وقال: إنما ضل من كان قبلكم بالكُتب» [3]
ومن جملة ما يُرمى به العرب من المطاعن أنهم حتى في ابان تمدنهم لم يشتغلوا هم أنفسهم في العلم، وإنما كان المشتغلون به الفرس وغيرهم من الأمم الخاضعة لسلطانهم، بخلاف اليونان والرومان وغيرهما من دول التمدن القديم، فقد كانوا هم أنفسهم يشتغلون بالعلم، وقد وضعوا علوماً تناقلها الناس عنهم، وأما العرب فأكثر علومهم منقولة عن سواهم [4]
فمشكلة العرب مع العلوم إذن قديمة، ومازالت تعيد نفسها وتتكرر؛ لأننا لم نفهم درس التاريخ ولم نستوعب بعدُ أن لا علاقة بين مجال العلم والمجال الدين، ونحن لو لم نتدخل بأنفسنا وبشجاعة لننتشل جذور مثل هذه الأفكار، فأنها لن تكف تنمو هنا وهناك، معرقلةً كل محاولة تقدم وإصلاح لما يمكن إصلاحه، مادامت البيئة الخصبة لها موجودة ومرعيّــة ومقدسة على الدوام.

---

1 جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 3/214

2 المرجع السابق، 3/ 56، 57

3 جامع بيان العلم وفضله: 352

4 جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 3/52

الأرض رغـــم حقـدكم تـدور   والنور غطى نصفها المهجور

- أبو العلاء المعري

القرن الخامس الهجري

دفاعاً عن القرآن

من الصعوبة بمكان أن يتقبل أحدنا مخالفة بعض "حقائق" العلم لما ورد في القرآن الكريم، بسبب تجذّر فكرة الدقة العلمية المطلقة للنصوص الدينية ومرجعيتها، في ثقافتنا الإسلامية، واستغلال الطاعنين في الإسلام لهذا الفهم المغلوط باعتبارهم عدم الدقة العلمية "خطأً" ينفي المصدر الإلهي للقرآن. حتى أصبح معيار صواب أو خطأ نظرية علمية هو مطابقتها لما في القرآن [1]، ولكن الحقيقة أن التعارض بين العلم والدين ينحلّ في ضوء الوعي باستقلالهما على مستوى الهدف والموضوع والمنهج واللغة. فالقرآن الكريم ليس فيه أخطاء علمية، لا لأنه صحيح علمياً، بل لأنه ليس كتاب علم أصلاً، حتى يحتمل الصواب أو الخطأ العلمي. من يعترض على القرآن الكريم بمثل ما عرضنا، هو كمن يعترض على قول شاعر اليمن البردوني في إحدى قصائده: «حَتى الجذورُ مدَانةٌ بِذُنوبِ إنجَابِ الغُصون».. بأنه (أخطأ علمياً فالجذور لا تنجب الغصون) ويتناسى المقصد الثوري للقصيدة! أو أن يُحاكم نزار قباني لّما قال في حب حبيبته «علَّمَني أني حين أحبُّ.. تكف الأرض عن الدوران» بأنه (خطأ علمي لأن الأرض لا تكفّ عن الدوران) ويتناسى المقصد العاطفي للقصيدة!

فكذلك القرآن، إن جاءت فيه معلومات علمية «فإنها تجيء مرتبطة بالدلالة على حكم عقدي أو شرعي، فهي جاءت تبعاً وليس أصالةً؛

---

1 صرح بذلك مستشار الرئيس الباكستاني للعلم الحديث، م.أ قاضي، أنظر: M. A. Kazi, Knowledge For What, op. cit. pp 67-8 .

وهي الفكرة المناظرة لمقولة القديس أوغسطين «لا يمكننا أن نقبل من شيء إلا إذا أيدته الكتب المقدسة بسلطانها؛ لأن هذا السلطان أعظم من كل القوات التي يختص بها العقل الإنساني» حيث ظلت مغشية على عقول الناس أشد الغشاوة طوال القرون الوسطى، واضطرتهم إلى تحوير آراء في أصل الكون لتوافق الكتاب المقدس. (بين الدين والعلم، أندرو ديكسون وايت، ص133، 134)

أي: أن القرآن لم يقصد أن يذكرها على أنها حقيقة علمية مجردة، بل ليستدل بها على توحيد الله وأحقيته بالعبادة، أو على حكم تشريعي، أو على إثبات اليوم الآخر .[1] فلغة القرآن لغة أدبية، لا علمية[2]، فحكمهُ حكم النصوص الأدبية من حيث علاقتها بحقائق العلم. «ويُلاحَظ أن العرب قد أجازت لضارب المثل الخروج فيه على قواعد اللغة، كما أجازت ذلك للشاعر بدعوى ضرورات الشعر.. والأمثال عند بعض الشعوب صنف من أصناف الشعر[3]» فمن باب أولى أنهم يتجاوزون في ذلك الدقة العلمية. وتجاوز الدقة العلمية ليس حصراً على الأدب، ففي كلامنا العادي نستخدم تعبير "شروق الشمس" و"غروب الشمس" والقرآن كذلك يتحدث عن شروق [4] وغروب [5] للشمس. كما نجد ذلك في الأحاديث أيضاً[6]. ونحن نعلم اليوم علمياً أن الشمس لا تشرق ولا تغرب ولا تطلع ولا تنزل، ومع ذلك لا نرى حرجاً من استخدام هذه التعبيرات.. لكننا لو ألزمنا أصحاب النظر العلمي للقرآن الكريم، الآخذين كل تعبير في القرآن بمعناه العلمي الصارم، فهم هنا مضطرون لإحدى ثلاث: إما الطعن في كلام الله تعالى، أو تخطئة العلم باعتبار أن الشمس تشرق وتغرب فعلاً، أو أخذ الآيات من باب المجاز. وبعد أن يختاروا المجاز بالطبع، نسألهم لماذا توقف المجاز عند هذه الآيات، وبقية الآيات التي تناولت ظواهراً طبيعية أخذتموها بمعناها

---

1 مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الاعجاز العلمي إلى أين، ص34.

2 يقول د.عبدالوهاب المسيري: الفرق بين النص المقدس والنص العلماني هو مثل الفرق بين الشِّعر (الذي يتعامل مع ظاهرة الإنسان) والمعادلة الجبرية (التي تتعامل مع عالم الأرقام الذي لا يعرف الضحك أو البكاء). مقال بعنوان "التفسيرات الحرفية للقرآن"، موقع قناة الجزيرة بتاريخ 31/1/2006.

3 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، الجزء الثامن، 359

4 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة : 258]

5 ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف : 86]

6 في البخاري: خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب. لا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان/ فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش.

”العلمي“ ؟! أليس هذا خللاً منهجياً؟! علماً أن المجاز ممنوع عند تقرير الحقائق العلمية. ولكن ديدنهم: إن وافق العلم فإعجاز، وإلا فهو مجاز! حينما لا يكون مقام الحديث علمياً فلا داعٍ لإلتزام الدقة العلمية. والأمر ذاته ينطبق على الآيات القرآنية. إذ لا تغيب حقيقة الكون عن خالقه، ولكنها غائبة عند المُخاطَب، وهم العرب، وغاية الخطاب والعُرف اللغوي عند المُخاطَب ولوازم اللغة البلاغية وحتى معارف أهل اللغة التي لها دور في تشكيل لغتهم ومجازاتهم وأمثالهم، تلزم النص بهيئة غير علمية، أو تكون علمية في حينه ثم يتجاوزها العلم. يمكن أن نلاحظ ذلك حتى في تعبيراتنا اليومية، فكثير منها تحمل آثار معتقدات قديمة سواء علمية أو دينية، نستخدمها دون اعتقاد معانيها الأصلية. حتى أن القرآن ذاته لم يتحرج من استخدامها، كتعبير التطيّر[1] مثلًا.. رغم ما له من دلالة خرافية حاربها الإسلام بالتحديد[2]. ذلك -كما يقول محمد دروزة- لأن «المضامين القرآنية في هذه المواضيع متسقة مع ما في أذهان سامعي القرآن عن مظاهر الكون ومشاهده ونواميسه، وتجلي عظمة الله وقدرته فيها. وهذه النقطة متصلة بالمبدأ العام الذي ما فتئنا نقرره من أن القرآن خاطب الناس بما يتسق مع ما في أذهانهم إجمالاً من صور ومعارف لما يكون من قوة أثر الخطاب فيهم بمثل هذا الأسلوب»[3]. وإلا «لو جاء القرآن على ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب... فلا تتم الحجة...ويقولوا مثلا أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه»[4] ولكانت الدقة العلمية حينها دافعاً للصدود عن القرآن وعدم فهمه. [5]

1 ورد لفظ التطير 4 مرات في القرآن. [الأعراف:131] [النمل:47] [يس:18، 19]

2 حديث: لا عدوى ولا طيرة، صحيح البخاري 5707، وصحيح مسلم 2220.

3 محمد دروزة، التفسير الحديث، 1/183

4 جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 4/21

5 «بدون مجاز لا يمكن إدراك الله... والهجوم على لغة المجاز هو هجوم على فكرة الإله المفارق للعالم.» عبدالوهاب المسيري، مرجع سابق

خاتمة

«مشكلة المنهج عند باحثي الإعجاز العلمي أنه يرتكز إلى نظرية ليس ثمة ما يسندها سوى حاجته إلى دعم نتائجه مقدماً, بثلاث قواعد مختلفة وغير بريئة من رذيلة التعصب الأعمى.. القاعدة الأولى: أن البشرية قبل القرآن كانت مجرد قطيع من الهمج الذين لا هم لهم سوى عبادة الأوثان. القاعدة الثانية: أن هذا المجتمع الشيطاني، لم يكن في وسعه أن يقدم لمسيرة الحضارة سوى الأساطير والخرافات, فلم يكن ثمة من يعرف شيئا عن خلق الكون أو تطور الجنين في الرحم, أو شكل الأرض.

القاعدة الثالثة: أن القرآن وحده، هو الذي غير هذا الواقع, وأضاء الطريق المظلم فجأة بما أورده من حقائق علمية في جميع المجالات, من ميدان التشريع والقضاء, إلى ميادين الطب والفلك وعلم الأرصاد الجوية. من هذه القواعد المعدة على المقاس، يتقدم الباحث الإسلامي لكي يثبت إعجاز القرآن العلمي في مقاطع إنشائية فضفاضة, ليس ثمة ما يميزها سوى غياب المنهج العلمي بالذات.)» [1]

«هذه اللعبة اللفظية تضر بالعلم والدين معاً، وكان ينبغي لهم أن يكفونا، وأن يكفوا أنفسهم شرورها، فكثرة المطّ، ولو كان مطّــاً للمطّاط، يقطع ويمزّق! والتأويل، بعواقبه وليس بتعريفه إنما هو الإمعان في مطّ ألفاظ وعبارات القرآن حتى تتمزق معانيها الحقيقية من غير أن يوفّق المؤولون في إدخال معانٍ علمية فيها. والتأويل العلمي لبعض الآيات القرآنية إنما يجعلها غريبة عن الحقيقي في معانيها وتفاسيرها، ونهباً لمعانٍ وتفسيرات متضاربة متناقضة، فالكتب الدينية لا تحتاج إلى التأويل العلمي، وإنَّما إلى النأي بمعانيها الروحية عن مثل

1 مقال: الطفل المسحور، وباء الأصولية والتعليم الديني. الصادق النيهوم. إسلام ضد الإسلام، الفصل5

هذا التأويل» [1]

«مشكلة "الجهل" أنه في الواقع نوع من "العلم" يستند دائماً إلى نوع من "العقل"، ويقوم أيضاً على نوع من "المنطق". إنه ليس ظاهرة بريئة، تنجم عن نقص في حجم المعلومات، بل ظاهرة مسؤولة. فالرجل الجاهل ليس رجلاً محايداً تنقصه المعلومات المطلوبة بسبب عجزه عن القراءة، بل هو في الأساس رجل متعلم واسع الاطلاع، منحاز إلى "حق" واثق من أقواله، صفته الظاهرة انه يملك إجابة نهائية على كل سؤال، لأن معلوماته مستمدة -في رأيه- من مصدر علوي غير قابل للخطأ.

العلامة الأولى في منهج هذا الرجل، أنه بشر يتكلم بالنيابة عن الله، فهو لا يقول شيئاً من عنده، ولا يتكلم بلغة الناس، بل يردد -فقط- ما سمعه من الرب شخصياً. وفي العادة، يكون الرب مجرد غطاء لصوت الرجل الجاهل نفسه، لكنه أحياناً، يكون معلماً ذائع الصيت له لقب يبعث على الرهبة مثل الأستاذ الدكتور أو حضرة الإمام، أو آية الله بشحمها ولحمها. في مواجهة رجل رباني من هذا النوع، يفقد المنطق هدفه ومعناه، ويدخل الحوار في باب الجزم، وتمتلك الأفكار سلطة بوليسية، حتى تصبح كل فكرة على حدة مجرد شرطي في بذلة شغل، يجوب الشوارع حاملاً عصاه، لحفظ الأمن والعلم معاً.

إن ثقافتنا العربية، تعيش هذه الظاهرة الصعبة، من دون أمل في الخلاص، وسبب المحنة ومحتواها، أن كلمة "العلم" في قاموس العرب، لا تؤدي معناها المألوف في بقية القواميس، بل تشمل أيضاً علم التفسير الذي تكفل بشرح نصوص القرآن منذ زمن مبكر جداً، ومنح نفسه حق احتكار الكلمة الأولى والأخيرة في موضوعات معقدة، لا تتجاوز معلومات الفقهاء فحسب، بل تتجاوز وسائل البحث المتاحة لمناهج الفقه بأسره.

---

1 مقال: كَذَبَ المؤوِّلون ولَمْ يصدقوا - جواد البشيتي

وخلال قرون طويلة من ممارسة هذا "العلم" كان على الثقافة العربية أن تعيش تجربة الجذب المستمر بين مصدرين متناقضين للمعلومات المتناقضة:

الأول: مصدر العلم التجريبي الذي بدأ مسيرته في بلدان غرب أوروبا، منذ القرن الثامن عشر على الأقل، ونجح في استبدال منهج الكنيسة القائم على تفسير الكتاب المقدس، بمنهج تجريبي جديد، لا يعتبر التفسير علماً، ولا يقبل نتائج البحث، إلا إذا ثبتت في ضوء التجربة.

الثاني: مصدر التفسير الحرفي لآيات القرآن، الذي انتحل لنفسه صفة العلم الإلهي في ثقافة العرب، وبقي بمعزل عن النقد، بفضل قدرته المتزايدة على تسخير سلطة الدولة لقمع النقد.

بين هذين المصدرين لحقائق العلم الأساسية، يواجه العقل العربي المعاصر محنة الحياة بوجهين في رأس مدهوش واحد. وهي محنة تتجلى علناً في مدارس العرب بالذات التي تحولت إلى ساحات مفتوحة لشد الحبل، بين ثقافتين رسميتين، كلتاهما تعيش على حساب الأخرى. وهذه المبارزة تجري يومياً في كل كتاب دراسي على حدة.

في زحام هذه المعلومات المتناقضة، يعايش الطالب العربي، في كل مدرسة عربية تجربة مستحيلة للتوفيق بين منهجين للمعرفة، كلاهما يدعو للشك في أقوال الآخر. الأول منهج إنساني يلتزم بوسائل العقل، ويستند على قوانين صارمة، لا تنكر مبدأ المعجزة فحسب، بل تطرحه خارج إطار العلم من أساسه. الثاني منهج سحري، ينكر حاجة العلم إلى العقل ويقيم نتائجه على قاعدة مؤدّاها أن الرب الخارق لا بد أن يخرق كل قوانينه، وأن وقوع المعجزة هو الدليل العلمي على صدق علم التفسير. بين هذين المنهجين المتناقضين لا يملك الطالب العربي خياراً آخر سوى أن يدخل طائعاً في قلب الدوامة، ويجرب أن يعيش بشخصيتين في عقل مدهوش واحد. فهو من ناحية لا بد من أن يقبل معارف

عصره، مثل بقية الطلاب، في بقية المدارس. لكنه من ناحية أخرى لا بد من أن يتلقى معلومات عجيبة لا يتلقاها الطلاب، ولا تعترف بها المدارس، ولا تقرّها مناهج التعليم في أي مكان في العالم، سوى الوطن العربي وحده، فقط لا غير. »[1]

ليست القضية إيماناً بقضية علمية بعينها من عدمه، إنما هو تقديرٌ لدور العلم والتخصص، وعلاجٌ لترهل الدين جرّاء شدّه إلى غير ميدانه، باعتبار النصوص الروحية مصدراً صريحاً ومقدماً على البحث العلمي لفهم الكون المادي من حولنا، وتجاهلٌ المقاصد الحقيقية من وراء نصوص الدين.

فهذه الأمثلة المذكورة في هذا الكتاب ليست معلومات عابرة في صحيفة أو في صفحة تواصل اجتماعي، بل هي جزءٌ من 22 درساً موزع على الأربع المراحل الأخيرة من منهجٍ دراسي معمم على 4.3 مليون طالب سنوياً منذ أكثر من 20 سنة، وزيفٌ يتم تلقينه في المدارس والجامعات باسم الإعجاز العلمي، ثم يأتي المدرّس الذي يتأثر ببيئته الاجتماعية وما يسمعه في المسجد وعلى الفضائيات فيكمل صورة جيلٍ مفصوم معرفياً، يتعلم المعلومة في كتاب العلوم ثم يتلقن عكسها في كتاب الدين وهو على نفس المقعد.. فلعل هذا النداء يجد صداه عند عموم القرّاء قبل وزارة التربية والتعليم في -اليمن أو غيرها من- الدول التي أقحمت الإعجاز العلمي في مناهجها. ونأمل أنها مساهمة في إزالة هذا الخلط بين العلم والدين الذي يتلقنه النشء منذ تعليمهم الابتدائي.. مما يشكل عائقاً فكرياً أمام التفكير العلمي والمنهجية العلمية لدى الجيل الصاعد.

1 مقال: وجهان ومواطن واحد، الإسلام في الأسر، الصادق النيهوم. (بتصرف)

مراجع ومصادر

تراث ديني:

- (تفسير بن كثير) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1419 هـ)
- (تفسير السعدي) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط1، 1420هـ – 2000 م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن – أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي- تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420 هـ)
- (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي- تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ – 1964 م.)
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط-3 1420هـ)
- (التحرير والتنوير) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (تونس: الدار التونسية للنشر،1984 هـ)

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (دار هجر: ط1، 1422 هـ - 2001 م)
- (صحيح البخاري) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة - ط1، 1422هـ)
- (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
- الإتقان في علوم القرآن - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1974)
- درء تعارض العقل والنقل - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية- تحقيق د. محمد رشاد سالم (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ-1991-م)
- مجموع الفتاوى - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني - تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416 هـ - 1995 م)

- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي – بتحقيق سليمان دنيا (القاهرة: دار المعارف، ط9، 2007).
- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1424 هـ)

تاريخ:

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون (طبعة دار الفكر، 2001)
- البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (دار الفكر، 1407 هـ – 1986 م)
- سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة: ط3، 1405هـ/1985 م)
- قصة الحضارة، ويل ديورنت، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، (بيروت: دار الجيل، 1988 م)
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، (جامعة بغداد، ط2، 1993)
- طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1913)
- تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، (بيروت: دار العلم للملايين، 1970)

معاجم:

- تاج العروس من جواهر القاموس – م حمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق

الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية

- القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة ط8، 1426 هـ - 2005 م.)
- كتاب العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري - تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال)
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (بيروت: دار صادر، ط-3 1414 هـ)

دراسات:

- الإسلام والعلم: الأصولية الدينية ومعركة العقلانية- تأليف برويز أمير علي بهائي - ترجمة محمود الخيال (المجلس الأعلى للثقافة - العدد 898)
- براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه، عز الدين كزابر (لم يُطبع بعد، متاح على الشبكة).
- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي - د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (السعودية: دار ابن الجوزي، ط2، 1433هـ)
- بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، أندرو ديكسون وايت، ترجمة إسماعيل مظهر، (مؤسسة هنداوي)
- الطبيعيات في علم الكلام، يمنى طريف الخولي(مصر، مؤسسة هنداوي)
- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، (سوريا، دار

الكلمة)

- دراسات في تاريخ العلوم العربية وفلسفتها، رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربي، (بيروت، ط1، 2011)
- مقالة المستشرق جولد تسيهر بعنوان (موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل) ضمن بحوث ترجمها د.عبد الرحمن بدوي، وجمعها في كتاب عنوانه: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ص123

كتب أخرى:

- الدين والعلوم العقلية، عبد الباري الندوي، تعريب: واضح رشيد الندوي (دار ابن حزم، ط2).
- الأدلة النقلية والحسية على إمكان صعود الكواكب، وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض، عبد العزيز بن باز (مكتبة الرياض الحديثة)
- حقيقة الحضارة الإسلامية، الشيخ ناصر الفهد (متاح على الشبكة)
- الفرقان في بيان إعجاز القرآن - أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد (دار الفكر، 1423 هـ - دار الفكر - 2002 م)
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر (لبنان-طرابلس: بلا تاريخ نشر)
- نقض النظريات الكونية، أبي نصر محمد عبدالله الإمام، (صنعاء: دار الآثار، ط1، 2008م)
-

المقالات:

- مقال: هل الأرض كروية في القرآن، أثير العراقي.

- مقال: أحكام متطرفة في تكفير علماء العرب، كاظم فنجان الحمامي.
- مقال: إعجازات الفيدا العظيم، رامان عبد الكريم العتيبي – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: الإعجاز العلمي في الفيدا والبورانا.
- مقال: الإعجاز العلمي في الكتاب الهندوسي المقدس.
- مقال: الإعجاز العلمي للقرآن بين القبول والمعارضة – الدكتور كارم السيد غنيم.
- مقال: الجبال ووهم الأوتاد المانعة لميد الأرض– نهى سيلين الزبرقان – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: الطفل المسحور، وباء الأصولية والتعليم الديني، من كتاب: الإسلام ضد الإسلام، تأليف: الصادق النيهوم (لبنان: دار رياض الريس)
- مقال: القرآن والعلوم الكوني، محمد عابد الجابري، (سلسلة المواقف، العدد31، سبتمبر 2004)
- مقال: ذكر القرآن لمراحل تطور الجنين، الطبيب العراقي – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: في دحض علمية القرآن.. الحلقة الثانية والثالثة،احمد القاضي – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: كذب المؤولون ولو صدقوا، جواد البشيتي – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: هل يوجد فعلاً إعجاز علمي في القرآن؟ (1/2)، مجيد البلوشي – موقع الحوار المتمدن.
- مقال: وجهان ومواطن واحد، من كتاب: الإسلام في الأسر، الصادق النيهوم (لبنان: دار رياض الريس)
- مقال: تهافت منطق التأويل العلمي عند الدكتور زغلول النجار وآخرين،

جواد البشيتي- موقع الحوار المتمدن.

المراجع الإنجليزية:

- langman's medical embryology – Eleventh edition – T. W. Sadler
- The Qur'an and the Bible in the light of history and science – Dr. William Campbel

المواقع الإلكترونية:

- Mayoclinic.org
- www.space.com
- محاضرة: الاعجاز العلمي بين الوهم والحقيقية - احمد سعد زايد (Youtube).
- برنامج سؤال جريء-قناة الحياة الفضائية- تقديم: رشيد حمامي، الحلقتين (259، 260) (Youtube).

أشكر كلّ من الدكتور محمد فخري، والمهندس وقاص السروري،
والأستاذ سعيد النخعي، والكاتب رياض حمّادي، والدكتورة عبير بشير
على ملاحظاتهم القيمة
كما أشكر كل من ساهم في إتمام هذا العمل بالدعم الفكري أو المعنوي..

«الإعجاز بمعنى تحدي الخلق بأن يأتوا بمثل هذا القرآن راجع إلى لفظ القرآن ونظمه وبيانه، وليس راجعاً إلى شيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لم يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.»

د. مساعد بن سليمان الطيار

أستاذ التفسير المشارك
بجامعة الملك سعود



+ 965 66560700
@darmasarat1
dar_massarat
dar.masarat@hotmail.com

